

بلوغ الأرب برفع الطالب

لمحرره

العبد الفقير المفرط الحقير

خادم السنة الشريفة والعلوم المنيفة

· محمد البرلسى السعدى

وخادم الشريعة المطهرة باسكندرية

ودمياط ورشيد سابقاً

ختم الله تعالى له بالصالحات

وأدرّ له البركات ، ولطف به فى المحيا والممات

وجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين

[١] الحمد لله الذى أقام قوام قوايم الشريعة الغراء، والمحجة الزهراء بمحمد، وأباد ذوى الطغيان، والبغى والعصيان بمهنده، وقطع دابر الطائفة المارقة، الخارجة عن طاعة الله ورسوله، وطاعة السلطان، ذوى البغى والعصيان، الذين هم فى ضلالهم يعمهون، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون، نحمده على أن هدانا للدين القيم ونشكره على إهانة الطغاة البغاة، ومن ين الله فما له من مكرم، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك العدل القادر القاهر الديان، ونشهد أن سيدنا ونبينا محمدا [٢] صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله، وصفيه وخليله، القايل: «من شق عصى أمى فاقتلوه كائنا من كان»، الذى أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، وجعله رسول الله وخاتم النبيين، فأخبر صلى الله عليه وسلم عن السر المصون، ونبا بما كان وما يكون إلى يوم يبعثون، واستعاذ صلى الله عليه وسلم من غلبة الدين وقهر الرجال، ومن فتنه الحيا والمات، ومن فتنه المسيح الدجال، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين شيدوا دعائم الاسلام فرفعوها، وعمرُوا بلاد الله بالعدل والاحسان أكثر مما عمروها، وسلم تسليما كثيرا، دائما غزيرا، وبعد فلها رأيت ما وقع بالديار المصرية فى هذا العام (*)، من الأمور الجسام، والآهوال العظام، اقتضى الحال تعليق تلك الأخبار قصدا للاعتبار وبما فعله هذا الدهر الغدار بمشيئة الأقدار، وتغلب حال الليل والنهار [٣] مما يفضى لقارئها العجب، وتميل أعطافه من الطرب، وطرزتها ببعض آيات شريفة من الكتاب الكريم،

* عام ١٦٠٧ / ١٦٠٨ / ١٦٠٩ م.

وأحاديث شريفة الواجبة القبول والتعظيم ، ونكات لطيفة ، واستطادات ظريفة ، بعضها بالمشاهدة ، وبعضها بأخبار الثقة طلباً للفائدة ، وسميتها « بلوغ الأرب ، برفع الطلب » ، والله سبحانه وتعالى أسأل اتباع سلوك الحق ، وإلهام طريق الصدق ، إنه ولي ذلك ، والقادر عليه ، وفي الحقيقة فالكل منه وإليه ، لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، قال الله جل ذكره ، وتقدست أسماؤه ، « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض »^(١) وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم »^(٢) . وقال تعالى : [٤] « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم »^(٣) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس اسمعوا وأطيعوا وإن ولي عليكم عبد حبشي » والأحاديث في معنى ذلك كثيرة ومن المعلوم أن مصر المحروسة خير بلاد الأرض على الإطلاق ، وجندها خير أجناد الأرض ، وسلطانها أعظم السلاطين وأبهى الملوك وأنفهمهم ، وكفاه مجدداً وشرفاً خدمة الحرمين المحترمين ، وأهلها أرق الناس طباعاً ، وأكثرهم فضيلة واتضاعاً ، لما جاء فيها وفي ساكنها من الآثار ، والفوائد والأخبار . من ذلك ما رواه^(٤) عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه أنه قال ، حدثني أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول « إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا بها جنداً كشيفاً » وقال : « إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيراً ، وفي الأخبار أن الله سبحانه وتعالى لما خلق آدم [هـ] عليه السلام مثل له الدنيا شرقاً وغرباً وسهلها وجبلها ، وبحارها وأنهارها ، وعامرها

(١) سورة المائدة ، آية ٣٣ .

(٢) سورة النساء ، آية ٥٩ ، وصواب الآية « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم » .

(٣) سورة النساء ، آية ٩٣ .

(٤) في النص تعبير « أمير المؤمنين » وعليه شطب فحذفناه .

وغامر ها ، ومن يسكنها من الأمم ، ومن يملكها من الملوك ، فلما رأى إلى مصر
 رأى أرضا سهلة ذات نهر جار مادته من الجنة تنحدر فيه البركة ، ورأى جبلا
 من جبالها مكسوا نورا لا يخلو من نظر الرب إليه بالرحمة ، فدعى آدم عليه
 السلام في أرضها بالبركة ، وبارك في نياها سبع مرات ، وكان آدم عليه السلام
 أول من دعى لها بالبركة والرحمة والخصب والرأفة ، ثم دعى لها بعد ذلك نوح
 عليه السلام ، فأثارت دعوتهما فيها البركة ، وقال عليه الصلاة والسلام « مصر كنانة
 الله في أرضه من أراد لها بسوء قصمه الله » ، وأخرج الطبراني وغيره من
 حديث أبي بكرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 « الوالى العادل المتواضع ظل الله ورحمته في أرضه [٦] فمن نصحه في حقه وفي
 عباد الله حشره الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، ومن غشه في نفسه وفي
 عباد الله خذله الله تعالى يوم القيامة » ، وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال ، قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم « عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة قيام ليلها
 وصيام نهارها » . وأخرج الزبيرى من حديث أبي سعيد الخدرى رضى الله
 عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحب الناس إلى الله يوم القيامة
 وأدناهم عنده مجاساً إمام عادل ، وأبغض الناس إلى الله تعالى وأبعدهم منه مجلساً
 إمام جابر » ، وأخرج الزبيرى أيضاً من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه
 قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السلطان ظل الله في الأرض فإذا
 عدل كان له منى الأجر وعلى الرعية الشكر ، ثم إذا خان كان عليه الوزر وعلى
 الرعية الصبر » ، وقال عمرو بن مرة لمعاوية يوماً سمعت رسول الله [٧] صلى
 الله عليه وسلم يقول « مامن إمام يغلق بابه دون ذوى الحاجة والخلة والمسكنة ،
 إلا أغلق الله تعالى أبواب السماء دون حاجته ، وخلته ومسكنته » ، وروى
 اليزيدى وأبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من ولاه الله
 شيئاً من أمور المسلمين واحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله

تعالى دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة^(١)، وعلى ما ذكرناه فإنه يجب على عامة الرعية إمتثال ولى أمرهم، والالتقياد لطاعته بهذا، وليس بخاف أن الديار المصرية، والقاهرة المعزية، محروسة بمحمد الله تعالى ومحمية ببركة الأولياء والأصفياء والصالحين، والعلماء العاملين، أئمة الدين، وبالجليل المقطم الذى ساحتها غراس إبل الجنة عن يقين، ليس لها فى مصر الأمصار نظير يشهد بذلك المسافرون^(٢)، وكل من أراد لها سوءاً انقلب عايمه، وصار [٨] وباله إليه، وهى الآن فى غاية العمار والاطمئنان وأهلها راتعون فى نعم الله تعالى فى دولة حضرة مولانا السلطان^(٣) وخصوصاً فى زمن متولها الآن^(٤)، داعون له بطول الأعمار، أثناء الليل وأطراف النهار، وأن يديمه بالقطر المصرى مادام الفلك الدوار، وقد كانت قبل هذا الأوان قد اختل أمرها، وضائق معيشة أهلها، لما كثرت شرها، وحصل ضررها، وضعفت فلاحيتها وخربت قراها، وانقصمت عراها، وانقلبت أخوالها وتعطلت غلالها وأموالها، لما أراد الله سبحانه وتعالى فى القدم، إبرازها من الوجود إلى العدم، وخراب البلاد. وهلاك العباد، وجلاء الفلاحين وإهانة الشرع المبين، واتسع الخرق، وراد الحرق، وكان ذلك كله بسبب قيام طائفة من جند مصر المكتوبين مع الكشاف فى نواحي الأرياف أظهروا العناد، وسعوا فى الأرض الفساد، وأحدثوا [٩] شيئاً^(٥) يسمى

(١) بخصوص جميع الأحاديث المذكورة فى الدس، انظر، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى، عن الكتب الستة وعن مسند الدارى وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل رتبة ونظمه لقيف بن المستشرقين، ونشره الدكتور أ. س. ونسك، أستاذ التربية بجامعة أيدن، ليدن ١٩٣٦، حيث أوردها جميعاً منشورة فى هذا المعجم كل فى موضعه .
(٢) فى الأصل « المسافرين » .

(٣) السلطان أحمد الأول تولى السلاطنة ١٨ رجب ١٠١٢ - ٢٣ ذى القعدة ١٠٢٦ هـ ٢٢ ديسمبر ١٦٠٣ - ٢٢ نوفمبر ١٦١٧ م

(٤) يقصد محمد باشا ٧ صفر ١٠١٦ - ١٨ جمادى الثانية ١٠٢٠ هـ ٣ يونيو ١٦٠٧ - ٢٨ أغسطس ١٦١١ م

(٥) فى الأصل « شىء » وصحتها « شيئاً » .

«الطلبة» على الفلاحين ، وصاروا يضاعفونها في كل سنة من السنين ، إلى أن زادت على أموال المقاطعة ^(١) ، هذا ولم يقدر أحد على المدافعة ، وعمت وطمت وزاد خبثها وعمت ، وذلك خلاف ما صدر منهم من الأمور الشنيعة ، والفعائل الحارقة البشعة من ارتكاب الزنا واللواط بالمرد جهاراً ، واقتضاض الابكار نهراً ، وصاروا لا يتناهون ^(٢) عن منكر فعلوه ، ولا ياتمروا بأمر ولا تنهم وكشافهم فيما فعلوه ، وصار لهم اسملة وأطعمة غالية المقدار ، زائدة الافتخار ، تحمل إلى خيامهم أثناء الليل وأطراف النهار ، وتهديد الكشاف بالقتل إن قصرُوا عن ذلك ، وبسلكون بهم أسوأ المسالك ، والمسلمون معهم في أمر مريع ، معوج غاية التعويج ، وقد صار أرذل الجند عندهم مقلداً بالسيوف المسقطرة ، والسروج المذهبة المنقطة والخيول المسومة ، والعدد [١٠] المقومة ، والأولاد الجميلة المزينة ، والنعمة الظاهرة المبينة ، فإذا وجدوا ولداً مع والده اغتصبوه وأخذوه ، وتبعوه ورصدوه ، مع الفسق بنساء الفلاحين ، واقتضاض بناتهم الابكار ، وسلب ماله من الدثار ، وغير ذلك من الأشياء المنكرة ، والحوادث ، الشنيعة المبكرة ، وغير ماسند كره من الوقائع والدواهي الفظائع وذلك في ثاني شهر شوال المكرم سنة ٩٩٧^(٣) زمن ملك الأمراء المرحوم

(١) سبق التعريف بضريبة الطلبة عند نشر مؤلف محمد بن أبي السرور البكري «كشف المكربة في رفع الطلبة» ، ص ٣١١ ، المجلد الثالث والعشرون ، المجلة التاريخية المصرية ، ١٩٧٦ م .

أما المقصود بأموال المقاطعة ، الأموال الأميرية التي كانت مقررة على القرية أو الناحية ، التي كانت تعرف في تلك الفترة بالمقاطعة ، وذلك قبل تطابق نظام الالتزام في جباية الضرائب في مصر .

١٠٦٩ هـ

١٦٥٨ م

انظر عبد الرحيم عبد الرحمن ، الريف المصري في القرن الثامن عشر ، ص ٧١

- ٧٥ -

(٢) في الأصل « يتناهوا » وصحتها « يتناهون » .

(٣) ١٤ أغسطس ١٥٨٩ م .

أويس باشا كافل الممكة الإسلامية ، بالديار المصرية ، دامت عليه رحمة خير البرية ، ركب العسكر المصرى وهجموا عليه فى الديوان الشريف ، وحقروه حقارة زائدة بحيث أن أحدهم دخل إلى محل حرمة ، وأخذ له ساعة مشمئة ، وسيفا مشمنا جداً^(١) بأنواع الفصوص وقوسا^(٢) وضربوا ثلاث ختمات شريفة بالسيوف ، فوسطوهم نصفين ، وفروا منهم وقد قتل (فى)^(٣) ذلك اليوم ثلاثة أنفار من أتباعه ودخلوا [١١] إلى بيت مولانا شيخ الإسلام ملا أحمد أفندى الأنصارى ، قاضى القضاة بمصر المحمية إذ ذاك ، وقطعوا رأس عثمان باش الجاوشية فى ذلك النهار بمراى منه ، ثم قبض على نحر الأمانلى على بن القاق ماتزم الغربية ، والقاضى محمد شمس الدين بن زحاق ناظر الحرمين الشريفين ، فى يوم الأربعاء رابع الشهر المذكور^(٤) وسجنوهما بالعرقانة وفى صبيحة يوم الخميس خامسه^(٥) أنفذوا حكم الله تعالى فيهما بأن قطعت رؤسهما فى الديوان وعلقتا بالجميزة فى الرملة وضرب رأس شخص من الجاوشية يسمى أحمد جاوش بيضة ناعمة بباب زويلة ، وهرب الأمير أحمد العادلى أياما ، وكذلك الأمير مصطفى أمير الحاج الشريف فى تلك السنة ، وطاب سفرة حسن المقاطعجى وابن العادلى المذكور ، والسعلاوى المباشر^(٦) ، وقتلت الحوازيت ، ونهب بعض أسباب الناس ، وقتلوا غلام الأمير الصوباشى ، وضجوا العسكر وبضعوا [١٢] بأولاد العرب من أخذ خيوطهم وعمائمهم وأولادهم ، وما وجد معهم من الجوخ والملابس الحسن أخذوه ، ونادى مناد^(٧)

(١) فى الأصل « سيف مشمن » .

(٢) فى الأصل « قوس » .

(٣) أضفت حرف (ف) لتوضيح المعنى

(٤) ١٦ أغسطس ١٥٨٩ م .

(٥) ١٧ أغسطس ١٥٨٦ م .

(٦) فى كشف السكرية : والقاضى بدر الدين السعلاوى .

(٧) فى الأصل « ونادوا مناد » .

أن أولاد العرب لا يستخدمون المالكا بيضا ، وأن اليهود والنصارى لا يستخدمون^(١) جواراً ولا عبيداً ، والكشف عاينهم بعد ثلاثة أيام ، وأن أولاد العرب لا يتزويون بزى الاروام^(٢) ، وصاروا يجتمعون طوايف طوايف ، ويذهبون إلى منازل أصحاب المناصب من أولاد العرب ، فيضربون بالبندق ، ويدخلون في وكبة عظيمة ، فيأخذون^(٣) من كبير المنزل ، ما أرادوه بالقول ، وإلا يبطشون به ، وخاص من أذاهم وشرهم القاضى زين العابدين أمين ديوان المحاسبات بالديار المصرية بالبلص الكثير لسائر فرقهم ، وهرب منهم الشيخ العلامة محي الدين الخزى الحنفى لكلمة بلغتهم عنه^(٤) ، ورصدوا منزله مراراً ليقتلوه ، وما نجاه إلا الهروب من المنزل ، وجماعة أخر أغلقوا منازلهم وصاروا يعاملونهم [١٣] بكسر الأبواب ، وحضر مولانا أفندى المشار إليه يوم الأحد ثامن شوال^(٥) ، هو والأمير الدفتردار ، يوميد ، وقاضى مكة المشرفة ، ونفخ الأماثل والأفاضل محمد جالبى يغلى زاده كاتب الديوان ، إذ ذاك ، والعسكر جميعاً بمدرسة مولانا السلطان السعيد الشهيد السلطان حسن طاب ثراه ، بعد أن وعظ العسكر مولانا نخر العلما عمدة الفضلا شمس الدين محمد التى برمق ، زيدت فضايله ، وأعطى حضرة مولانا أويس باشا بيورلدا شريفاً^(٥) لقاضى مصر أنه مهما طلبوه العسكر يفعل لهم ويخلصه من أيديهم ، وقد عاثوا وتمردوا ، وزادو فى طغيانهم وضربهم بالبندق ، فى الديوان العالى ، واشهروا السلاح ، وهجموا بالخيول إلى مجلس الحكم الشريف وأخربوا

(١) فى الأصل « لا يستخدموا » .

(٢) فى الأصل « يتزاوا » والمقصود بالأروام الأتراك .

(٣) فى الأصل « فيأخذوا » .

(٤) ١٩ أغسطس ١٥٨٩ م .

(٥) فى الأصل « بيورلدى شريف » .

الرفوف ، أؤخذوا ولد مولانا أؤيس باشا المومى إليه^(١) ، رهينة على بعض
أشياء ، يفعلها لهم ، وكتب محمد جلبى المذكور حجة بين الفريقين [١٤]
بأشياء على قدر مرادهم ، وما سلم أؤيس باشا من القتل إلا طول أجله ، وتوفى
عند حلول أجله بالديوان المصرى ، تغمده الله تعالى برحمته ، وفى هذه الواقعة
يقول مولانا العلامة عبد الواحد البرجى زيد فضله :

قد أصبح العالم فى حصر فعجل اللهم بالنصر
فصر قد أوبقها أصرها ومن له صبر على الإصر
يا صاحى الأمر مستفحل قفا نبكى على مصر

وقال الشيخ الأديب عبد المنعم الماسطى فى هذه الواقعة :

موالا^(٢) مؤرخاً

نظام مصر العزيزة قد غدا محروم
وصار من رزقها القاطن بها محروم
وذل فيها العزيز الفاضل المكروم
لما بتاريخها جارت عايمها الروم
سنة ٩٩٧^(٣)

(١) كتبت فى الأصل عبارة «هو محمد جلبى» وهو خطأ حذفناه ، حيث أن محمد جابى ،
كما يتضح من النص ومن مؤلفات ابن أبى السرور ، هو كاتب الديوان العالى ، وليس ابن
أؤيس باشا .

انظر : محمد بن أبى السرور ، كشف الكربة ، ص ٣١٧ - ٣١٨ ، النزعة الزهية ،
ص ٥٧ - ٥٩ ؛ المنح الرحمانية ، ورقة ٦٢ .

(٢) فى الأصل «موال» .

(٣) ١٥٨٩ م .

ثم في أواسط شهر رجب المرجب سنة ١٠٠٦^(١) ست وألف اجتمع جماعة من العسكر من ساير [١٥] الأقاليم ، وحضروا إلى مصر^(٢) ، زمن حضرة مولانا السيد الشريف محمد باشا ، بالديار المصرية دامت عليه نعم رب البرية ، فوجدوا مولانا الباشا المشار إلى حضرته في الربيع^(٣) ، وكان متحفظاً منهم ، وكان معه طائفة من العرب ، هم الأمير مقلد ، وعطا الله ، وابن الخير وغيرهم ، كل واحد منهم في خيمته وقد ركب شخص من أمائل جاووشية الأبواب العالية الخشكارية يدعى دالى محمد ، وكان معظما في نفسه مهابا عند الحكام ، في جماعة كثيرة ، وكل واحد من الأمرا المحافظين بمصر إلى أن نزل من الربيع ، إلى أن وصل إلى الرميّة ، فاجتمع العسكر المذكور بالرميّة وأخذت الرؤوس في الحرب ، فقصد مولانا صاحب السعادة الصوة فقاطعوا عليه العسكر واحتاطوا به ورموا بندقاً كثيراً ، وطائفة الينكجارية ينحوا الطائفة عنه ، وهم يسبونونه وقد حاصروه مقداراً من النهار ، وطلبوا منه الدالى محمد المذكور [١٦] والأمير محمد الجلال ، وصوباشى مصر ، والأمير مقلد ، والأمير جعفر رفضى اغاة الجاوشية ، وداود أغا الصغير ، وابن السكرى ، وجماعة آخر ليقتلوهم فأجابهم إلى ذلك ، وطلب المهلة ثلاثة أيام ، فصار كل منهم يزعق بأعلا صوته ، شرع الله ، وطلبوا قاضى العسكر بمصر^(٤) ، ليحكم بينهم بمدرسة مولانا السلطان حسن ، فأجابهم إلى ذلك فتوجه طائفة منهم إلى المدرسة فهمز حضرة مولانا الباشا بفرسه من باب الساسلة ، وفرّ ، وترك ولده

(١) فبراير ١٥٩٨ م .

(٢) في الأصل كتبت عبارة « فوجدوا حضرة » ثم شطبت .

(٣) ٢ شوال ١٠٠٤ - ١٢ ذى الحجة ١٠٠٦ م
(٤) ٣٠ مايو ١٥٩٦ - ١٦ يوليو ١٥٩٨ م

(٤) هو عبد الرؤوف الشهير بعرب زاده ، انظر محمد بن أبى السرور ، النزهة الزهية ، ص ٦٢ ؛ كشف السكرية في رفع الطلبة ، ص ٣٢٠ .

وكتخذه فسكوهما وسلوهما إلى مولانا حسين باشا بأقليم الحبشة يومئذ^(١) ،
وغر الأمراء السكرام ، عمدة الكبرا الفخام الأمير يرى بك أمير الركب
الشريف الحجازي ، ولم ينزجروا بعد ذلك ، ولم يرجعوا عن فعاليهم الخبيثة
وتوجهوا إلى منزل الدالي محمد بقناطر السباع ، فعاركوه وعاركهم ساعة طويلة
وقد قتل من الطايفتين نحواً من عشرة أنفس ، فلما كثروا عليه فر [١٧]
هارباً إلى داخل منزله وكان بكوشك مشرف على مأذنة الجامع بالمحكمة^(٢) ،
التي هناك فخر بعضهم عايه من المأذنة المذكورة ببندقة فلم تخط رأسه ونفدت
إلى الجانب الآخر ، وأطلقوا النار في باب بيته وهجموا عليه ، دفعة واحدة
فقتلوه وقطعوا رأسه وعلقوها بباب زويلة ، ونهبوا جميع ما في منزله من العدد
والأسلحة والخيول والملبس والتحف وغير ذلك ، وصادفوا غر الأمراء ،
الأمير محمد عشى باش بك^(٣) أمير اللوا الشريف بالرميلة ، وهو طالع إلى
الديوان الشريف فهجموا عايه وقتلوه وقتلوا مقدم مصر يومئذ ، وضربوا
شخصاً يدعى محمد المغربي من أتباع مولانا غر القضاة محمد أفندي رفاعي زاده
بالغر الرشيدى كان ، وهو في طبقة بالقرب من الغورية مع أستاذه فطلقوا
إليه وقتلوه في حصن أستاذه وتبعوا جماعة من أولاد العرب المتزيين بزيهم
فقتلوه ، وقفلت محاكم مصر وهرب الأمير مقلد [١٨] وداود أغا وابن

(١) يذكر ابن أبي السرور في مؤلفاته أن اسمه « حسن باشا المدعو بالسكران
بكرى الحبشة يومئذ ، وليس حسيناً ، وربما كان تحريفاً من المؤلف ، حيث أننا نميل إلى رأى
ابن أبي السرور ، والمقصود بالحبشة ، ولاية جدة ، انظر : كشف السكربة في رفع الطلبة ،
ص ٣٢٠ ، النزهة الزهية ، ص ٦٣ .

(٢) المقصود بها محكمة قناطر السباع التي كانت تقع بجى السيدة زينب ، وبها مدرسة
البردية .

(٣) يذكر أن ابن السرور أن اسمه « الأمير محمد الشهير باشجى محمد بيك ، انظر
كشف السكربة ، ص ٣٢١ .

انظر : كشف السكربة ، ص ٣٢٠ ؛ النزهة الزهية ، ص ٦٣ .

السكري والمطلوبين كلهم ، وسمي الصوباشي ، وولوا كشافا بالاقليم وصوباشي بمصر ، وكان عند طلبهم الشرع ، وطلبهم هؤلاء ، هب ريح عاصف^(١) من قبل الله تعالى وثار الغبار وأظلم النهار فأرسل له كتخدا العزب هو^(٢) أن يتقدم ويدخل من باب العزب ، فهمز ودخل الباب وأغلق بعد دخوله ، ومنع من يدخل من العسكر ، فلما أن دخل إلى الحوش ، ونزل عن جواده ووضع رجله على الدرجة الأولى ، داس على ذيل قفطانه من شدة الدهشة فمال لها فعندما مال من ذيل القفطان جآته بندقة فقاتت راسه بدوسه على ذيله وميله ودخلت في الحائط ، وهي إلى الآن أثرها موجود في الحائط ، على يسرة الطالع للبقعد الصغير ، إنشا مولانا الملك السعيد الشهيد السلطان قايتباي سقى الله ثراه^(٣) ، والسلم المذكور (حادث)^(٤) بناء المرحوم محمود باشا بالديار المصرية كان^(٥) ، وكان ذلك سبباً لنجاته وسلامته [١٩] ولما أن كان يوم الأحد عشرين رمضان المعظم سنة تسع وألف^(٦) ، في دولة مولانا أمير الأمر آخضر باشا الوزير^(٧) ، كافل المملكة الإسلامية بالديار المصرية سابقاً ، طلع العسكر ، هم وقاضى مصر يومئذ ، وطلبوا كتخدا الوزير المشار إليه المدعو بهرام لدعاوى شرعية بسبب الشونة وبعض أمور احتجوا بها ، وكان في ذلك الوقت عند حضرة مولانا الباشا ، فنزل من باب الكلار ، وهو متوجه إلى أن وصل إلى نوبة خانة الجاوشية فتعدوا عليه ، ووضعوا فيه السيوف وقتلوه ، وفعلوا بحسين الترجمان كذلك ، وقتلوا

(١) في الأصل « ريحا عاصفا » .

(٢) بياس بالأصل ، ولم تذكر المصادر التي رجعنا إليها اسم كتخدا العزب هذا . انظر كشف السكرة ، ص ٣٢٠ - ٣٢٢ .

(٣) من سلاطين دولة المماليك الجراكسة تولى السلطنة ١٤٨٦ - ١٤٩٦ م .

(٤) أى مستجر في البناء .

٩٧٣ - ٩٧٤ هـ
(٥) تولى ولاية مصر ١٥٦٥ - ١٥٦٦ م

(٦) ٢٥ مارس ١٦٠١ م .

١٧ ذى الحجة ١٠٠٦ - ١٥ محرم ١٠١٠ هـ

(٧) تولى ولاية مصر ٢١ يوليو ١٥٩٨ - ١٦ يوليو ١٦٠١ م

المعلم يوحنا النصراني النبـلاوى المباشر، وقطعوه قطعاً ، وطافوا برأس
الكتخذ المذكور وعلقوها بباب زويلة ، وتوجهوا إلى بولاق القاهرة وقتلوا
بها من ^(١) وجدوه من خزان الغلال ، وعاثوا وبغوا وطفغوا وفعلوا فعايل خارقة
من نهب الأموال والأولاد ، والأمر إلى الله سبحانه وتعالى [٢٠] ثم ما هو
أعجب وأغرب ، ما فعلوه بعد ذلك من الداهية العظا ، والواقعة الدهما التي لم يسمع
في هذا الأوان بأغرب منها ولا أعجب ، ولا أبشع فعلا ولا أشنع ذرفت منها
العيون ، وتفتت القلوب ، وخابت الظنون ، في سنة ١٠١٣ في يوم الجمعة
المبارك سابع ربيع الثاني ^(٢) قيل صلاة الجمعة وذلك أن حضرة مولانا ، الجنب
العالى ، الراقى رتب المعالى أمير الأمرا ، حضرة مولانا الوزير ابراهيم باشا ^(٣) ،
بمصر المحروسة تغمدته الله تعالى برحمته وأسكنه فسيح جنته ، لما توجه إلى
ناحية شبرا لقطع سد قناطر أبى المنجا ، زمن النيل السعيد ، في موكب عظيم من
القاعة المحروسة المنصورة إلى ساحل بولاق نزل في المركب وتوجه إلى الناحية
المذكورة ، وجلس في دولا ب حضرة مولانا أمير الأمرا الكرام ، كبير الكبرا
الفخام ، ذو القدر والمجد والاحتشام ، المتمسك بلطف رب العباد ، مولانا
الوزير الأعظم مراد باشا أعطاه الله تعالى من العز والعظمة [٢١] والسعادة
والسيادة ماشا ، وفي هذا اليوم المذكور توجه جميع العساكر المصرية الأشقيا
المذكورين ^(٤) بمعاونة من الأمرا والمتفرقة والاسباهية والجاووشية ، إلى القرافة
الشريفة على ما قيل ، وتحالفوا على قتل ، مولانا الوزير ابراهيم ، وباتوا على ذلك ،
وبات مولانا الوزير في الدولا ب المذكور ثم في صبيحة يوم السبت مستهل

(١) في الأصل (ما) .

(٢) ٢٤ سبتمبر ١٦٠٤ م .

(٣) تولى ولاية مصر ١٤ ذى الحجة ١٠١٢ — جماد أول ١٠١٣ هـ
١٦٠٣ — ٢٥ سبتمبر ١٦٠٤ م

(٤) في الأصل « المذكورون » .

شهر جمادى الأول من تلك السنة^(١) توجهوا بقضهم وقضيضهم ، وأتباعهم
ولقيهم إلى ساحل بولاق ، لملاقاته وهم بالسلاح الكامل ، والعدة الوافرة ،
واستمروا هنالك إلى آذان الظهر ، فباغهم الخبر أن حضرة الوزير جالس
بالدولاب المذكور فافترقوا فرقتين ، فرقة مكثت في بولاق ، وفرقة توجهت
إلى الدولاب المذكور ، وهم بأهبتهم الكاملة غارقين في أسلحتهم ، إلى أن
وصلوا إلى الدولاب ، توصل إليه الخبر أن العسكر حضر جميعه وهو في غاية
الشدّة والصلابة وطلب الشر ، وقد حضر اليه بعض الصناجق [٢٢] وقال له
يا مولانا قم واركب بنا في المركب قبل أن يتلاحق بنا العسكر ، وتوجه إلى
القاعة المنصورة خفية وإذا طلعت بسلامة الله تعالى ، أفعّل ماتختاره وترومه ،
فلم ياتفت إلى ذلك الكلام بل وأغلظ على قايله ، ولعمري أنه كان رأيا
صالحاً ، لو فعله ، ولكن إذا نزل القضاء عمى البصر :

ولقد صدق من قال :

إذا أراد الله أمراً بأمراً وكان ذا عقل وسمع وبصر
أصم أذناه وأعمى قلبه وسلّ منه عقله سل الشعر
حتى إذا أنفذ فيه حكمه ردّ عليه عقله ليعتبر
فلا تقل فيما مضى كيف مضى فكل شيء بقضاء وقدر

واستمر جالساً في مكانه بقصر الدولاب وعنده من أمراء الصناجق ، نفر
الأمراء الأمير عثمان بيك [٢٣] العثماني . والأمير بايزيد بيك ، والأمير محمد
بيك ابن خسرو ملازم مقاطعة الثغر السكندري والبحيرة ، والأمير درويش
محمد بن عثمان أفندي قاضي القضاة هو بمصر سابقاً ، وحضرة مولانا شيخ

مشايخ الإسلام مصطفى أفندى عزمى زاده ، والأمير الدفتردار ، وبعض صناع آخر . ومن الجاوشية والمتفرقة ، مالا يحصى ، فطلع من الجند الأسباهية خمسة عشر نفراً^(١) إلى القصر وهم متسلحين بسيوفهم إلى أن وقفوا عندهم في شدة الغضب والتلب . فلما رآهم على هذه الحالة قال لهم كلاماً لطيفاً^(٢) ، أيش مرادكم يا عسكر السلطان أنا ما أعطيتكم علوفانكم كاملة مع ترقية انكم وأعطى لكل شخص منكم ثلاث عثمانية^(٣) أيضاً ، فقالوا له نحن مانريد إلا روحك ، فلما رآهم مصممين على ذلك ، وأنهم لا يريدون إلا البطش به ، تشهد وقام على أقدامه فضربه شخص منهم بالسيوف على وجهه فسقط إلى الأرض ، والذي ضربه أولاً أحقر الطائفة ونزلت عليه السيوف من كل جانب منهم وقطعوا [٢٤] رأسه ثم إن الأمير محمد بن خسرو المذكور لما رأى ذلك ، قام على أقدامه ، وقال حاس يا طايفة ، هذا ماهو مايج تقتلوا وزير السلطان ، فقالوا له أنت هنا يا فاعل يا ثارك ، ثم ضربه بالسيوف أيضاً ، وألحقوه به ، هذا والعسكر تحت القصر يتماوج كما يتماوج البحر ، في شدة هيجانه واضطرابه ، يكاد يأكل بعضه بعضاً ، وإذا بالروس أخرجوها لهم من الشباك فسكن الاضطراب يسيراً ، ثم إنهم نزلوا بالرأسين إلى أسفل القصر ، وأما الأمير عثمان فإنه قد توارى وكذلك كل من كان في المجلس من الأمرا ، وقتل أيضاً من الينكجيرية ثلاثة أنفار ، وأخذوا الرأسين على رحين ، وطافوا بهما البلد وهم ينادون^(٤) عليهما هذا جزاء من أفتن من عسكر السلطان ، ثم أتوا بهما وعلقوهما في باب زويلة على أسقيفة هناك فباتا عليها إلى ثاني يوم ، بعد طلوع الشمس ، فسلخوا الرأسين فدفنا مع جثتهما [٢٥] وأصبح الناس جميعاً في غاية التكدر والاضطراب ، والتشويش لعدم

(١) في الأصل « نفر » .

(٢) في الأصل « كلام لطيف » .

(٣) نوع من العملة العثمانية كانت مستعملة في ذلك الوقت مفردها عثمانى .

(٤) في الأصل « ينادوا » .

من ينظر إلى أحوال الناس ولهول هذه الواقعة الغريبة ، وقد قيل إنهم ذهبوا
للأمير عثمان بيك، وسألوه أن يكون قائم مقام فأبى ، وامتنع فأبرموا على مولانا
مصطفى أفندى وجعلوه قائم مقام ، وقالوا له أنت قاضى ذلك القطر وأنت أختى ،
وكذلك أرباب الدولة أيضاً ، وجعلوا الأمير ناصف سوباشى ، والأمير أحمد
ابن الدمرداشى دويداراً ، والناس فى أمر مريح ، ونسأل الله تعالى العافية
واللائق فى القضا وأن يسلمنا فى شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا إنه كريم رحيم
ولقد قلت :

مصر لك الله لقد أصبحت	يبكى عليها بالدموع العزار
عن حالها حالت وقد أصبح الـ	حال بها فى شغل قلب أحرار [٢٦]
فلا رجاء لا ولا مأناً	كلا ولا جار به يستجار
ولا أمير بامرء مشفق	أعان عان راج أجار
ولا ولى يتولى إذا	كشف من الله لدفع الأصار
فن لذى محنة أو شدة	ذو غيرة أو منقذ من عثار
إلا وزيراً كف عن ربة الـ	أسر رعاياه وعنا وجار
فلهجرة الهجرة من مصر لا	مقام فيها والفرار الفرار
ليس لها كاشفة دونه	برحمة تدرك ذى الاختيار
فالعوث الغوث منك الرجا	أنت ملاذى أنت والمستجار
وصل يارب على المصطفى	وآله والصحب أهل الوقار

وتم الأمر على هذا الحال من تقلب الأحوال [٢٧] وكثرة الأهوال
وركوب الأخطار وسلب الأموال^(١) (ومما وقع فى زمن أمير الأمرا مولانا

(١) النص الموضوع بين القوسين (—) كتب على هامش الصفحة رقم ٢٧ وأشير
لدى وضعه مكان النص القالى من الصفحة بعد شطبه ، والنص المطلوب هو « وكل من ورد
بعد ذلك من البكلاريكية الى ديار مصر المحمية ، منهم من يأخذهم بالملاطفة ، وعدم
الحنافاة ، ويهمل أمورهم ولا يفقش على ما يفعله جمهورهم ، ومنهم من يأخذهم بالسياسة ،
ويقطع رؤوس رؤوسهم ، ويحمد أنفاسه فى الحفاء لا الظهور ، ويظهر أنه لم يعارضهم فى أمر
من الأمور . »

محمد باشا الخادم البكر، بكى بالديار المصرية^(١) فإنه عند وروده إلى مصر حضر إليه من الاعتبار الشريفة جاشنكير راس الجاشنكيرية ورئيسهم ومعه خطا هما يونيا وأحكاماً منيفة^(٢) فجمع الصناجق والعساكر بالديار المصرية بسبب الطلبة وأصلها وإبطالها وعن سبب قتلة مولانا الوزير إبراهيم المقتول ظلماً، ومن قتله وقد اجتمعوا كلهم في قرة ميدان، وكذلك نخر الأفاضل مولانا محمد أفندي التي برمق فذكر مولانا محمد باشا أنه لم يعرف أصل ذلك ولا سببه فإن ذلك لم يكن في زمنه وأن الخط ليس له، وإنما لأمر مصر وأغواتها وعساكرها، وأبى أن ينزل من القلعة، ونزل الجاشنكير بقرا ميدان، واتفقوا على جواب، وقفل الباب الكبير وفتح الصغير، ووقف محمد أفندي المشار إليه هو ونخر الأكبر الأمير على الهلالى كتحدا الطائفة الجاوشية ويدهما مصحف شريف وهما ناحيتي الباب وكل من طلع من العسكر يحلفوه على أنهم على كلمة واحدة وأنهم يحضروا المطالبين من المفسد منهم، وأنهم لا يحصل منهم فساد لأحد من الرعايا، ولا يخرجوا عن كلام الملك ولا ناييه، وذلك بعد مجالس وأيمانات سابقة، لم نذكرها خوفاً من الإطالة، ثم إن مولانا محمد باشا قطع منهم طائفة بالروية وحسن التدبير شيئاً فشيئاً، وكل من ظفر به منهم تطف به وأرسله المشبك^(٣) ولم يزد^(٤) والأمر بعد ذلك إلا شدة فلما انتشرت هذه الأخبار الموحشة، والأفعال المدهشة، وطرقت سمع حضرات السلطنة الشريفة، والسدة الخاقانية المنيفة. سلطان سلاطين الزمان، وخاقان خواقين العصر والأوان، وخليفة الله الأعظم في أفراد بني الإنسان، ثالث العمرين صرامة وحزمًا من

(١) تولى ولاية مصر ٢٢ ديسمبر ١٦٠٤ — ١٦ يوليو ١٦٠٥ م، ويعرف باسم محمد باشا الكورجى .

(٢) في الأصل « وم » خط همايون وأحكام منيفة .

(٣) المشبك = السجن .

(٤) في الأصل « يزداد » .

ملوك آل عثمان . ظل الله الممدود على كافة أهل الإيمان « وسينه المسلول بيد
القر على أهل البغى والعدوان ، قاتل [٢٨] الكفرة والمبتدعة وسائر حزب
الشیطان القایم بفرض الجهاد لأعلاء كلمة الله تعالى وإذلال أهل العصیان ، لم
تکتمل أعین الزمان ، بمن یوازنه أو یوازیه ولا تنظر أحداق النجوم مع
کثرة دورانها حول السماء والأرض من یسامیه أو یسامیه ، صاحب الإمامة
العظمی والسلطان الباهر ، وارث الخلافة الکبری کابرا عن کابر ، مرغم أنوف
النراعة کاسر تیمجان الأكاسرة ، قاصر قصور القیاصرة ، هازم جنود الطغاة
البغاة وجیوشها ، هادم حصون الکفرة فی خاویة عن عروشها ، اسکندر
الزمان ، الذی نصر محمداً صلى الله علیه وسلم وأکبت له عدا ، وأذل من
استطال بجبله على شریعته وعدی ، وصان الإسلام والمسلمین بجهاد الکفرة
والملاعین ، وأزال الجور عن الأمة ورد عنهم کید الکافرین سلطان الحرمین ،
حامی القبالتین ، ملک البحرین ، ملک جهان ، ناشر علم العلم والإحسان ، [٢٩]
جامع ذیول الأقطار ، فاتح البلاد والقلاع والأحصار ، مبد الطغاة والبغاة
والکفار ، المؤید من السماء المنصور على العدا ، مدبر البلاد بالعدل والإیمان ، ناصر
الشریعة المحمدية بالفضل والإیمان ، ملک البرین ، والعرب والعجم والروم والترك
والعراقین ، والشرق والغرب والین والحبشة والخانقین ، السلطان الأعظم الغشتم
والبحر الفططمم ذی الجیش العرمم ، واسطة عقد ملوک آل عثمان ، ذی البذل
والإحسان ، المحفوف بمزید عناية الملك الصمد حضرة مولانا السلطان الملك
المعظم أحمد بن مولانا السلطان الأعظم محمد خان بن المرحوم مراد خان بن
عثمان^(١) ، اللهم أدم دولة عبدک هذا الخاضع لهیتک الشاکر لتعمتک ، سیفک
القاطع ، وشهابک اللامع ، والمحامی عن دینک والمدافع ، اللهم وعمر بدولته
البسیطة ، واجعل ملایکتک [٣٠] برایاته الشریفة محیطة ، اللهم ابق للإسلام

(١) تولى السلطنة ١٨ رجب ١٠١٢ — ٢٣ ذی القعدة ١٠٢٦
٢٧ دسمبر ١٦٠٣ — ٢٢ نوفمبر ١٦١٧

مهيّته ، وأثّر في المشارق والمغارب دعوته ، وافتح اللهم على يديه دوائى
الأرض وقواصياها ، وملكه صياصى الكفرة الليام ونواصياها ، فلا تلتقاه منهم
كتيبة إلا مزقها ، ولا جماعة إلا فرقها .

سل عنه وانطق به وانظر إليه تجده ملء المسامع والأفواه والمقل

اللهم اشكر عن العالم وسائر البلاد الإسلامية سعيه ، وانفذ في المشارق
والمغارب أمره ونهيه ، وأصلح له أوساط الفلاة وأطرافها وأرجاء الممالك
وأكنافها .

فهو الذى دلت عليه الملاحم بالشكل والصورة والعلام

وفي المعنى

ملك إذا ضاق الزمان بأهله بخلا توسع في المكارم وانفسح
يكسو السحاب إذا تجارى كفه

فالغيث من وجناتها عرق رشح [٣١]

ويكنف الأسد المحصور بعدله في القفر أن يرعى الغزال إذا سنح

خلد الله ملكه وأعز أنصاره ، وختم بكل خير وسعد أعماله ، وقرن بالنجح
والسعد أعماله ، وأجرى أحكام سلطنته في أكناف أطراف الربع المسكون
ماتعاقبت الأعوام والسنون ، وجعل الملك كلمة باقية فيه وفي عقبه إلى يوم
القيامة ، ومنحه في الدنيا والآخرة ما يليق بجلاله من أنواع العزة والكرامة .

وهذا الدعاء لا يرد لأنه يزان به كل الورى والممالك

تراه بلا شك أوجب لأننا إذا مادعونا أمنة الممالك^(١)

(١) في كشف الكربة « الملائك » ، ص ٣٣٠ .

أنعم بإيالة مصر المحمية، مع الوزارة العلية لحضرة مولانا وسيدنا الوزير المعظم، والمشير المفخم، والدستور المكرم، مهد أمور جمهور الأمم، منصف المظلوم ممن ظلم، نظام العالم، رافع أثار الجور والفتن، وقالع مآثر الظالم والأحن، جواد لم يمحى الهلال إلا ليكون نعلا لحافر [٣٢] جواده، ولامتد الثريا أكفها الخضيب إلا للتمسك بذيل كرمه وإمداده، ولا سلّ الصبح سيفه إلا قال الله أكبر على أعدائه، ولا احمرت الشفق من الخافقين إلا حرمة لحرمة خافق لوائه، ولا أمطرت السحب إلا بكاء من خشية جلاله، ولا استقرت البروق إلا خجلا من إهان سيوفه ونصاله، ولا نحات الخناصر بالخواتم إلا لأنها تعقد عليه، ولا كحلت العيون السود بسواد النور الباصر إلا لتتشرف بالنظر إليه، ولا فتحت الدوى أفواها إلا لتنتطق بمدحه ألسنة الأقلام، ولا حبر الخبر بياض الطروس بسود السطور إلا لتشير أن الليالي والأيام من جملة الخدام، ليث عرين الوطيس بأساً وجأشاً، حضرة سيدنا ومولانا الوزير المعظم محمد باشا^(٢) أنعش الله تعالى به بساط البسيطة انتعاشاً، ولا زال عود خيام هذا الدين القيم بعد الله الشريفة قائما، وكلما نوت أعداؤه^(٣) فعلا مضارعا [٣٣] كان سيفه له جازما، وهو الذى قهر الأعداء من طوايف الأشقياء المذكورة أخذا بالنواصي، وبدد شمل البغاة العصاة وفرقهم إلى الآقاصى، وهو الذى من حل فى فئانه آمن من عوارض الفنا، ومن استجار بحماه خلاص من بوايق البلا، ومن استظل بظل رأفته وجده ظايلا، وهو الذى من قصد بابه ماخاب، ومن لزم جنابه الشريف عاش وطاب، وهو الذى دأبه إغاثة الملهوف وإسدا المعروف وهو الذى اصطفاه الله وزاده بسطة فى العلم والجسم، وهو الذى منحه من المكرمات أوفى قسم :

٧ صفر ١٠١٦ - ١٨ جمادى الثانية ١٠٢٠ هـ

(١) تولى ولاية مصر ٣ يونيو ١٦٠٧ - ٢٨ أغسطس ١٦١١ م

(٢) فى الأصل « أعداؤه » .

ولو أن أشجار البسلاد خلقت في أقلام خط والمداد الاكثر^(١)
وأردت حصر فضائل جمعت له دون البرية كنت فيه مقصرا

ثم أوصاه حضرة مولانا الخنكار نصره الله تعالى على أهالى مصر
والوصية الثامنة بهم ، ونشر [٣٤] العدل فيهم ، والشفقة والحنو عليهم ،
ومعاملتهم بالعدل والإنصاف ، ورفع الجور والإعتساف ، وكان من معظم
الوصية ، إبطال الطلبة ورفعها لاشتداد غضبه لأجلها ، وقاعها بالكلية ، ومن
خالف وعاند وكابر وكايد ، قتل أشرف قتله وأستبيح ماله بغير مهلة ، وهو مصنع
لكل مايقول يمثل لما برزت به الأوامر الخنكارية بغاية القبول ، وأعطاه
بذلك خط همايون ، الذى هو بالسعادة مقرون ، فقضى إربه من القسطنطينية
الحماية . ونزل فى السفن قاصدا ثغر الإسكندرية . فأم يزلوا سايرين بسلامة
الله تعالى فى ذلك البحر الفسيح ، تارة بالكورك وتارة بالريج ، إلى أن لاح له
الثغر المذكور ، وقد ازداد رفعة وجورا^(٢) فخفضت الأعناق لدى المرأى
المدهش . وانتعشت النفوس بذلك المنظر الشريف المنعش - فأى صدر
ماترحزح عند رؤيته ، وأى قدر ماتضاءل عند مشاهدة [٣٥] عظمت ، وأى
بدر ماغاب ، وأى شمس ماتوارى ضياؤها بالحجاب ، وقد تلقاه بالاستقبال
من مصر المحروسة أكابرها وأعيانها ، وأمرأؤها وأركانها وأرباب دوائها ، وهنؤه
بالسلامة وقد حفت به الكرامة وقات :

ته يا وزير البرايا منقذ الأمم وأسعد وأبشر بنصر الله عن أمم
أضحى بعدلك هذا القطر ملتما وهل بعدلك شمل غير ماتيم
يافاعل الخير طبعاً حيث لا كلن ومولى العرف فى مصر بلا سام
قد أصبحت بك مصر بعد غربتها موصولة بكم لحما على وضم

(١) فى كشف السكرية « الأبحر » ، ص ٣٣٢ .

(٢) فى الأصل « حبور » .

مكفولة أبدا منكم بخير أب وخير بعل فلم تيم ولم تيم
فالليل بعد وقوف قد وفا وغدا جار كبحر نوال منك ماتطم [٣٦]
بالشكر كل لسانى ناطق أبدا محمد الخلق محمود بكل فم

واستبشر كل أهالى الثغر بطاعته ، ويمن غرته ، ونصب سراقه العالى ،
ورواقه السامى المتعالى ، بفيحاء الجزيرة الخضرا ، خارج ثغر الإسكندرية الغرا
وقد حفت به جنود النصر والإقبال ، وتطأطأت لثم تراب أقدامه جباه الأقيال
وأحدثت بأطناب مخيمه الحكمة والأبطال ، وحصل من حضرة لهم إنعام عام
لمن حضر من العسكر السلطاني فى ذلك المقام ، وزاد كل واحد من العسكر فوق
ماتليق به من الترقى من عثمانى فأزيد ، ولم يحرم أحدهم من الأنعام ، ونالوا
جميعاً ما أرادوه من المرام ، ونظر فى أحوال الأمم ، وأنصف المظلوم بمن ظلم
ومن جملة أنه خلاص جملا من شخصين جنديين أخذاه من ناحية أدكو فى طلبه ،
وهرب الجنديان ، وكان مولانا قاضى القضاة حسن أفندى [٣٧] القاضى
بالشجر السكندرى حيثئذ فحضر اليه ، وقبل يديه الشريفة وسر برؤيته سرورا
كثيراً وأقبل حضرة مولانا الوزير اليه إقبالا عظيما وتوجه حضرة الوزير من
يومه ذلك ، ومولانا حسن أفندى يسايره ، ويحادثه ، إلى زيارة مقام مولانا
وسيدنا الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر القطب الربانى ، والعارف الصمدانى ،
مرضى المريدين ومقتدى السالكين ذو الكرامات الظاهرة ، والأنفاس الطاهرة
والأسرار الباهرة ، الاستاذ الأعظم ، والمولى الأنعم الأكرم ، سيدى
أبو العباس المرسى نفع الله تعالى به وبأنفاسه الطاهرة فى الدنيا والآخرة ، وزار
المقام الشريف وصلى وابتهل وتركع ، ودعى لحضرة مولانا الخنكار الأعظم
الإمام الأنعم تقبل الله منه ذلك ، وهو فى غاية الخشوع والتواضع والخضوع
وقرب القربان الكثيرة من الأغنام وأغدى [٣٨] على أهل المقام وأحسن إلى
الفقرا والمساكين ، والأراامل والمنقطعين ، من خدام المقام ، وغيره ، وكل منهم
لاهج بالدعاء له والثناء عليه ، ثم إلى مقام نجر الأولياء ، وعروس الاصفياء

ذو الرتب العالية، والمقامات السنية، والمواهب اللدنية والنفحات المحمدية، القطب الرباني، أبو الروح سيدى ياقوت العرشى المجاور ضريحه للشيخ المشار إليه، ثم منه إلى زيارة مقام الشيخ الأكبر والعلم الأشهر، الشيخ أبو الحسن الشاذلى، ثم إلى مقام سيدى أبو الفتح الواسطى، ثم إلى مقام الشيخ نجم الدين السبع، ثم إلى مقام سيدى عبد الله اليماني، وهو في كل ذلك يتصدق ويفدق على الفقراء والمساكين والخدمة القاطنين بالمقامات المذكورة، ولم يحرم من إحسانه ولطفه أحد^(١)، وشمل غالب الناس بره وعطفه، وحصل لهم كمال الارتفاق، وملأوا بالدعاء له أكناف الأرض وآفاق الآفاق، ثم [٣٩] توجه بقية نهاره إلى حيث الحصار الكبير الأشرفى بجزيرة الثغر المذكور، إنشاء حضرة مولانا السعيد الملك المظفر الأشرف السلطان قايتباى المحمودى سقى الله ثراه. وهو الذى اشتهرت قطبانيته فى الآنام، وقطع بولايته وعدله كل خاص وعام، وكشف بنفسه النفيسة عايه، وتوجه بكلمته وجزيلته إليه، كشفا جلياً، وتأمله ملياً، فرأى فيه بعض خلل ورث فى بنيانه، فأمر بترميمه وعمارته، واتقانه لهيته، ثم إنه صعد إلى المسجد المبارك بعلوه فزاره وصلى فيه وتبرك به، ودعى الله سبحانه وتعالى بذلة وخضوع، وأنعم على جميع من بالحصار من الجند القاطنين به، وأنعم وأغدق كعادته، وفرق أغناما كثيرة، وأنعامات أثرية، وعمر الحصار، بعد ذلك عمارة حسنة جيدة فى غاية الاحكام، على وجه المسكنة والتمام، وما وقع فى أيام سلطنة المرحوم قايتباى المشار إليه فى بضع وتسعين وثمانماية خرج عايه [٤٠] شخصان^(٢) يدعى أحدهما سوار، و(ثانيهما) حسن^(٣) الطويل، ومعها عساكر كثيرة، طمعا فى الديار المصرية، فأرسل اليها تجريدة عظيمة، ووقع الحرب الشديد والقتال العنيد، وقتل سوار، وحسن

(١) فى الأصل « ولم يحرم من إحسانه أحد ولطفه »، ونعتقد أن هذا ضيق قلم، من المؤلف ولذا أصلنا العبارة على الوجه المذكور.

(٢) فى الأصل « شخصين ».

(٣) أضفت كلمة « ثانيهما » ليتضح الأسلوب والمعنى.

الطويل المذكور أشر قتلة ، ووقعت النصره لمولانا السلطان قايتباى المشار اليه
ولهجت الشعراء بذكرهما فن ذلك ما نظمه شمس الدين القادرى :

أيا حسن الطويل بعثت جيشاً كإغنام وهن لنا غنائم
فنار الحرب قد قتلت سواراً وأنت لسبكها لاشك خاتم
وقال الشهاب المنصورى :

عروس الحرب نقطها المواضى بأرواح الأعارب والأعاجم
وقد جابت وفى يدها سوار وها حسن لكف الحرب خاتم
وقال بعضهم [٤١] :

ياحسن الطويل قصرت عمراً وفاتتك المعالى والمغانم
سوار قد سبكاه ابتداء وأنت بناره للسبك خاتم

ثم عاد منه إلى زيارة سيدنا ومولانا، الولي الشهير، والعلم الخطير، من عمت
بركته أهل الغرب والشرق، سيدى عبد الله البرق، وحصل له بزيارته غاية
السرور، والبهجة والحبور، وهو على عادته من الإينعام للخاص والعام،
وخصوصاً محبته فى المجاذيب والبله، لا ينكرها أحد من الأنام، ثم عاد إلى
سراجه الشريف، وهو فى غاية العزة والتشريف وفى أثناء بكرة ذلك النهار
توجه للزيارة أيضاً، ومولانا حسن أفندى يسيره ويحادثه، قاصداً زيارة سيدنا
ومولانا خلاصة الأولياء، وزبدة الأصفياء، والولي المشهور، بلا نزاع،
وسلطان الأولياء بلا دفاع، الزاهد الورع، الثواب المعتقد المتهجد الأبواب،
ذو الأنفاس [٤٢] الطاهرة، والكرامات الباهرة، صاحب الولاية على
الإطلاق، ولى الله تعالى، والعارف به الشيخ عبد الرزاق، داخل الشجر المذكور
تقبل الله منه الأجور، وحصل له بزيارته غاية البشر والسرور، وقرب قربانا،
وأغدق برأ وإنعاماً وإحساناً، ثم بعد أخذ حظه من الزيارة، توجه من ذلك

المكان الأنور، قاصدا زيارة الباب الأخضر بالجزيرة، فزاره وتماس به وتبرك وحصل له حظا عظيما، وأنعم إنعاما جسيما، ثم توجه منه إلى الجامع الأنور المعروف بالجامع الأخضر وزاره وصلى عنده، وتبرك به ودعى الله سبحانه وتعالى، وهو بغاية الخشوع والطمأنينة والخضوع، وزار المسجد اللطيف العمري من داخله المنسوب لحضرة مولانا عمرو بن العاص الصحابي الكبير وانفرد فيه بنفسه ودعى لحضرة مولانا الخنكار الأعظم، وطاب من الله تعالى ما في خاطره بلغه الله تعالى غاية المراد، فإن من المشهور أن الدعاء عنده مستجاب، كل ذلك [٤٣] وهو يواصل الإحسان والبر إلى فقراء أهل الثغر وكان يوما معدودا، مباركاً مشهوداً، ثم عاد إلى مخيمه الشريف بالعظمة والتبجيل والتشريف، ثم بعد بلوغ أربه من ثغر اسكندرية، توجه بما حازه من الأجور المرضية، إلى محل إيلائه بالديار المصرية، في طالع سعيد، ووقت مبارك حميد، فر في مسيره على مقام مولانا وسيدنا الصحابي الكبير والعالم الشهير، العالم العابد الصائم القايم، الراكع الساجد، ذو المناقب الكثيرة، والبركات الاثيرة، المجاهد الأكبر، والكبريت الأحمر، المختص برحمة الملك الباري، سيدى جابر الأنصارى، فعطف عليه، ودخل إليه بغاية الخضوع، وزار المقام الشريف، وصلى عنده وابتهل، وركع وسجد وتبطل، وحصل منه من الأنعام، والغنم والأنعام، مالا مزيد عليه، ورأى المقام ضيقاً^(١)، فأمر متوليه، والناظر عليه، وهو نخر الأماجد والأعيان الأمير محمد بن المرحوم [٤٤] بلال من الأمراء المتفرقة بمحروسة مصر بتوسيعه وعمارته عمارة حسنة فامثل ذلك، وعمره عمارة مليحة إلى الغاية، وزاد فيه زيادة كبيرة، وصار نزهة للناظرين، ثم إن حضرة الوزير أحسن إلى جميع من هو بالمقام من الخدمة والزوار، والفقراء والمعتقدين إحسانا عاما، وأرصد عليه حين وروده إلى القاهرة المعزية ملاحة مستجدة خارج الثغر المذكور يصرف ريعها على سباط

(١) في الأصل « ضيق » .

يعمل بالمقام في كل ليلة جمعة واثنين ويجتمع فيه المقرءون والوعاظ والمشدون ويحيون هاتين الليلتين^(١) من العشا إلى الصباح دائما أبداً ، ويهدى ثواب ذلك لحضرة مولانا سيد المرسلين ، وآله وأصحابه (وللساطنة الشريفة) ، ثم لساكن المقام ، ومن كان سببا في ذلك ، وسائر المسلمين تقبل الله ذلك إلى يوم القيامة^(٢) (ومما حررته نقلا من مروج الذهب للمسعودي ، رحمه الله تعالى أن بأرض اليمن مكان يعرف بالقاعة . مزار لصحابي من الأنصار [٤٥] يعرف بجابر ابن عبد الله الأنصاري ، وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله مناقب ومآثر وبركة ظاهرة ، وفيض طاهر ، وله أخبار تنقأها الأفاضل كابر عن كابر ، قدم جابر بن عبد الله هذا إلى الشام وافداً على معاوية رضى الله عنه ، فحجب عنه ، ثم اذن له فقال يا معاوية أما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول انكم ستلقون بعدي أثره فاصبروا حتى تلقوني على الحوض أفلا صبرت . قال في النهاية لابن الأثير ، الأثره بفتح الهمزة ، والثاء المثناة . الإسم من أثر يؤثر إثارة ، إذا أعطى يريد أنه يستأثر بعضكم على بعض في نصيبه في الغنيمة والفيء ، فقال جابر اذكرتني يا معاوية ما أنسانيه الدهر وخرج من عنده ، وركب راحلته ، ونزل إلى المدينة ، فذكره معاوية فأرسل إليه بستمائة دينار ذهباً فردها جابر عايه ، [٤٦] وكتب إليه .

وإني لأختار القنوع على الفنا إذا اجتمعوا والماء بالبارد الممضى
وأقضى على نفسي إذا الأمر نابني وفي الناس من يقضى عليه ولا يقضى
وألبس أثواب الحياء وقد أرى مكان الغنى أن لا أهين به يرضى
قال وليس هذا جابر بن عبد الله الأنصاري أحد المكرمين عن رسول الله ﷺ

(١) في الأصل «ويجتمع فيه المقرئين والوعاظ والمشددين ويحيوا تلك الليلتين» .

(٢) من هنا وحتى السطر الأخير من ص ٤٦ ، استطراد وخروج عن موضوع النص ولذا وضعناه بين قوسين (. . .) .

وان اشترك معه في إسمه واسم أبيه ، فإن ذلك معمرأ عاش أربعاً وتسعين سنة ، وتوفي في سنة ٧٧ من الهجرة النبوية ، في أيام الحجاج بن يوسف الثقفي وهذا صحابي أنصاري آخر ، ولعله المدفون بهذا المقام ، ذكر ذلك الشيخ أبو الفتح اليعمرى في السيرة النبوية رضى الله تعالى عنه وأرضاه ، ثم إن حضرة الوزير زاده الله تعالى [٤٧] إجلالا وإقبالا ، لم يزل يمدح المسير بعناية الملك الحميد ، إلى أن وصل بسلامة الله تعالى إلى ثغر رشيد ، في عيش رغيد ، فتوجه إلى الحصار الذى هناك ، وكشف بنفسه النفيسة عايه ، فوجده في غاية الإحكام والإتقان ، فحصل له بذلك حظ عظيم وأنشراح صدره لذلك ، وأحسن على من بالحصار المذكور من الجند والمرابطين وأرباب شعائر مسجده ، وأبطل بعض ظلمات ، وشكت الرعايا من شخص هناك يدعى ترك محمد ، كان شقيا من الأشقياء ، فسجنه بالحصار ، وأنفذ أمر الله فيه ، وكان جباراً عنيداً ، ثم توجه مصحوباً بالسلامة ، فلما مر على كوم الأفراح زاره ، ومن به من الأولياء والشهداء ، وتصدق وأنعم وأغدق ، ولهجت الرعايا بالدعا لحضرة مولانا الخنكار الأعظم ، ولذاته الشريفة وسار والعسكر المنصور وأمراء الأولوية ، وأكابر الدولة يسايرونه ، وكلما ورد عايه أحد من الكشاف [٤٨] والملازمين يقابله بسن ضاحك ، وبشر وإقبال ويلبسهم الخلع والتشريف ، وكل من ألبسه قفطانا شرط عايه أن يمشى بالاستقامة مع الرعايا ، وأن لا يكتب لأحد من الجند طلبه أبداً ، ومتى بلغه عن أحد منهم أنه كتب طلبه لفرد من الأفراد ، يكون ذلك القفطان كفته ، واستمر على ذلك وكلما نزل على بلد أوقرية ، وشكى إليه أحد من فلاحيه يحسن لهم ويكشف ظلماتهم إلى أن حل بشبرا المدينة وجزيرة الفيل فنصب سراقه بها على العادة بذلك ، وقد اصطفت العساكر بين يديه صفوفاً ، وكان دخوله تاسع عشر شهر صفر المظفر سنة ١٠١٦^(١) في طالع سعيد ، وساعة مباركة والسعد يقدمه ، والإقبال يخدمه ، فأقام بها ثلاثة أيام في أرغد عيش ، وتوجه إلى دار سعادته ،

ومحل إيلائه ، بالديار المصرية ، والقاعة الصلاحية ، فدخل في موكب عظيم ، وعز
وجاه وتعظيم [٤٩] وطلع القلعة ، في إقبال وتفخيم ، وأنعم على ساير الجاوشية
والخدم والنوبتجية ، وسلموا وانصرفوا بغاية الترقى والأنعام ، وبلغ المرام وكان
جلوسه في الديوان العالى . بالعز المتتالى والسعد المتوالى ، يوم السبت المبارك
حادى عشرين الشهر المذبور ^(١) ، زاده الله تعالى عزاً وإجلالاً وسعادة وعظمة
وإقبالا ، وبلغه أعلا مراتب الرضا حتى يقول جميع العالم هكذا هكذا ،
وإلا فلا ، فأخذ أولا في زيارة الأولياء والصالحين والعلماء العاملين ، بالقرافتين
المنيفتين ، وما بهما من الأولياء والشهداء ، فتوجه إلى مقام سيدنا ومولانا إمام
الأيمة وناصر السنة . من مصر به محروسة محمية ، صاحب العلم النفيس ، الإمام
الأعظم ، والمقام الأنخم الإمام محمد بن ادريس الشافعى المطلبى ، تغمده الله
برحمته واسكنه بمجوحة جنته ، وأنعم على من بالمقام من الخدمة والمجاورين
انعاما زايذا ، ودعى الله سبحانه [٥٠] وتعالى وتوسل إليه ، ثم توجه من
عنده إلى مقام سيدنا ومولانا الإمام المجتهد المجيد العالم البارع المجيد ، ذو
الكرامات الظاهرة والأسرار الباهرة ، والأنفاس الطاهرة ، الترياق المجرب ،
مولانا الليث بن سعد الفهمى القلقشندى المصرى ، نفع الله بعلومهما ومددهما
كافة المسلمين بجاه سيد المرسلين ، ثم منه إلى الصحابى الجليل ، والغوث النبيل
سيدى عقبة بن عامر الجهنى ، ثم إلى مقام الولى العارف بالله تعالى سيدى فارس
قطايا بالقرافة الصغرى ، وصار كلما زار مشهدا من تلك المشاهد ، أو معبدا
من المعابد يتصدق كثيرا على عاداته ، ويقرب أغناما إبتغاء للمشروبات ، واستجلابا
للدعوات الصالحات ، ولم يزل مداوما على هذا الحال ، لا يغفل عن زيارات الأولياء
والصلحا ليلا ولا نهاراً ، مع النظر للرعايابعين المعدلة والأنصاف [٥١] وخلص
المظلومين من الظالمين ^(٢) وإزالة الجور والاعتساف ، وشرع في تعمير البلاد

(١) ١٩ بونية ١٦٠٧ م .

(٢) في الأصل « وخلص الظالمين من المظلومين » ونعتقد أنه سبق فلم من المؤلف ؛

وتأمين العباد ، وإستجلاب خواطر الحاضر والباد ، وقطع جاذرة أهل البغى والعناد ، والظغيان والفساد ، وإكرام العلماء ، والنظر إلى الفقهاء والفقراء ، وتقوية الضعفاء من الفلاحين وعود المتسحين ، وجذب قلوب كافة البرايا ، وعامة الرعايا ، حتى عمرت مصر بعد أن كانت خرابا ، وقرأها يابا ، ودب فيها ماء الحياة ، بعد موتها ، وانتعشت انتعاشا قويا بعد موتها ، ورفع من المظالم المظلمة ، والخطوب الموحشة المؤلمة ما اكسبت الدولة كالا ، وأزالت نقصا ، ورفعت عنها محنا وغصصا ، فأحسن إلى أهل الحرمين المحترمين ، وبسط في ذلك كلنا اليدين ، طلبا للمثوبات العظيمة ، من الله البر السلام ، ومزيد الاكرام والانعام وإستجلاب القلوب بالدعا بدوام دولة [٥٢] سلطان الاسلام ، ظل الله في الأنام ، الخنكار الأعظم ، والسلطان الافحم ، مولانا السلطان أحمد لازال بمجد مؤيد ، وفي الحقيقة أن مولانا الوزير محمدى الاسم ، طاهر الذات والجسم أخلاقه من أخلاق سمييه ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، المبعوث في الالف السابع من السنين وهى الدولة المحمدية القمرية ، والروضة الازهرية العلية نبى الساعة ، وصاحب الشفاعة ، وله حظ أيضا من سمييه محمد المهدي ، الذى يظهر آخر الزمان ، ويزيل الرجس والظلم والبهتان . وكان ورود حضرة مولانا إلى مصر الامينة ، وهى مية فاحياها وحصل لها الطمأنينة من إزالة جميع ماشرحناه وقدمناه فى أيام الفتن ومظاهر البغى والمحن فى هذا الزمان المشتموم ، وسوء أخلاق الخلايق ونياتهم وذلك ظاهر معلوم ، ولندكر نبذة مما ذكره مولانا عبد الرحمن بن طلحة البسطامى صاحب مفتاح الحضر أعلم ^(١) [٥٣] (أن خير القرون قرنه صلى الله عليه وسلم قال أنس رضى الله عنه لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شىء ، فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شىء ، وقد ولد صلى الله عليه وسلم فى الالف السابع

(١) من هنا وحتى نهاية القوسين (.) فى منتصف ص ٥٧ ، خروج عن موضوع للنس ولذا وضعناه بين القوسين .

عام الفيل عهد كسرى أنوشروان ، فهو فاتح كتاب الوجود ، وهو الفاتح الخاتم
 وقال صلى الله عليه وسلم أنا أول من تشق عنه الأرض ، ولذلك خص بسورة
 الحمد التي هي فاتحة كتابه من كنز تحت العرش ، ولم يسبح إلا باسمه صلى الله
 عليه وسلم أحمد ، ألا ترى أن حروف الفاتحة ، تشير إلى اسمه صلى الله عليه
 وسلم محمد ، قال عليه الصلاة والسلام لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض
 الله الله ، فالله الله لها من العدد ١٣٢ وذلك عدد اسمه عليه الصلاة والسلام محمد
 وهو أيضا عدد ١٣٢ وهذا العدد له من الحروف قلب فهو عليه الصلاة والسلام
 قلب هذا العالم ، ويخرج من [٥٤] اسمه عليه الصلاة والسلام عدد من أرسل من
 الأنبياء . وإذا ضمنت باطن عدد هذا الاسم الذى ظاهر عدده كان الخارج من
 الجملتين ، وقت ظهور خاتم الأولياء محمد المهدي فافهم افهم وقد انقضى عصر
 من الصحابة ما بين تسعين إلى مائة رضى الله تعالى عنهم وقد أخبر صلى الله عليه
 وسلم عما وقع بعده من الفتوح وعما ظهر من الفتن التى الأمساك عن الخوض
 فيها من أحسن الحسن ، وما ورد من أحاديث الملاحم وأمثالها ، وظهور الفتن
 المتداولة وأحوالها ، ولقد أخبر عن ملاحم الروم فحصلت ، وعن قتال طايفة
 فقوتلت ، وفصل ذلك صاحب الجفر على المآت ، فقال المائة الأولى على
 رأسها يظهر سيف الحق ، وإمام الخلق أقامه الله تعالى ليحيى الكتاب والسنة ،
 وعمى الضلالة والبدعة إلى أن قال ، والمائة التاسعة ، وهى أم المآت فى
 الشدائد ، والتى يجرى فيها ما لم يكن فى العوايد ، فان الناس كانوا فى الزمان
 الخالى ، ومامر من الأيام والليالى ، منتظرون هذا القرن التاسع ، وذكر ما فيه
 [٥٥] من الأهوال بينهم شايح حتى أن من الناس من يقول إن القيامة فيه تقوم ،
 وأنه لا يبقى إلا الحى القيوم ، ولأرباب الملاحم وأهل التيسيرات وأصحاب
 الحساب فيه مجال واسع ، وشرب جامع ، وقال فى موضع آخر بعد هذا ، وأما
 القاف والنون والياء فلها من العدد ٣٦٠ فإذا أسقطنا منها ياء كان الباقي ٣٥٠ ،
 وذلك أعداد عيسى وعدد سيف ، وهو إشارة إلى ظهور سيف القرآن محمد

المهدي ، ونزول عيسى المسيح وعدد^(١) سلطان وهو إشارة إلى تجديد سلطنة الدولة المحمدية القمرية ، وقد ورد في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن صلحت أمتي فلها يوم وهو أئنف سنة ، وبلغنا أن عيسى عليه السلام يصلي بالناس صلاة العصر ، وهي إشارة إلى أنه ينزل على ثلاثة أرباع اليوم فإذا أخرجت من الألف ٨٤٢ كان الباقي في خمس الربع سبعة في مدة لبث الدجال الأعور في الأرض وينزل عيسى عليه السلام [٥٦] على ثلاثة أرباع اليوم ، ويرفع القرآن عند تمام حروفه وذلك على دائرة ٩٥٢ سنين ، ويبقى في الألف ٩٧ سنة فيها شرار الناس ، وعليهم تقوم الساعة حتى تباع أولاد العلوج بسويقة مازن ولا تقوم الساعة حتى تحسر الفرات عن جبل من ذهب ولا تقوم الساعة حتى يجتمع صايب الاسلام وصليب الكفر برج داود ولا تقوم الساعة حتى يحتاج الاختيار إلى الاشرار^(٢) ، ولا تقوم الساعة حتى تكثر الفتن والخوارج ، والأمور العوارج ، قال عليه الصلاة يأتي على أمتي زمان يأكل القضاة من الخصمين ، ولا تقوم الساعة حتى تأكل المرأة من فرج ابنتها ، ولا تقوم الساعة حتى يكون شيخهم شاطر ، وشابهم فاجر ، وأمينهم جابر ، ووزيرهم تاجر ، قال عليه الصلاة والسلام إذا أتى على أمتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزلة والغربة والترهب على رؤوس الجبال ، وفي تاريخ ٨٥٥ ترفع الشريعة ، وتسرق الوديعه ، وقال عليه الصلاة والسلام يكون في آخر الزمان [٥٧] عباد جهال ، وعلما فاسق ، سنة ثلاث يظهر الخراب ، وفي هذه الاشارة الشافيه ، والعبارة الكافية ، إشارة إلى الحى البساط ، ورفع السباط وتحريك الزامر ، وشق الاثواب ، وطرق الابواب ، وسفك الدماء ، وهتك النساء ، وشقاق العلماء وخلف الامراء ، وقيام السيف في الشتاء والصيف ، وسوء الحال ورفض المال ، وكل ما ترى من العبر ، لنفوذ القضاء والقدر) ، ولولا أن الله سبحانه

(١) في الأصل حرف «على» وعليه شطب .

(٢) في الأصل « يحتاج الأشرار الى الأخيار » ونعته أنه سبق قام من المؤلف .

وتعالى أغاث عباده بهذا الوزير الماشى على سنن سميّه صلى الله عليه وسلم
البشير النذير ، ومحمد المهدي الآتي في الزمن الأخير ، لخربت البلاد
وهلكت العباد ، وصرت لا ترى إلا فيافي أوقيعان ، وبوادي وغيلان
ثم أنه نظر في أمر القلعة المنصورة وجدد بناها وعمرها عمارة حسنة إلى أن
صارت نزهة للناظرين ، ولم يزل على ما هو عليه من مزيد الإنعام والنظر بمافيه
المعدلة ، ولما أن آن أوان توزيع الأقاليم المصرية ، على العمال والملتزمين ،
فوزع كل إقليم على ما يليق به من غير خدمة وكان من جملة [٥٨] من أنعم
عليه من الكشاف المعتمدين شخص من أكابر الجند الملتزمين يقال الأمير حسن
الخلوجي فأعطاه ولاية الغربية وأخضع عليه قفطاناً عظيماً ، فتوجه الأمير حسن
المشار إليه وهو في غاية السرور ، بعد ذلك إلى بولاق لبعض مصالحه وجلس
بموضع مشهور هناك على شاطئ البحر ، يقال له سبيل البردان ، فصادفه طائفة
من الجند المذكور ، واللوند المفسدين ، وقصدوه بسيوفهم وهي مسحوبة
بأيديهم ، فهرب منهم ، وطاع إلى بعض السفن روماً للنجاة فأدركوه ، وضربوه
بالسيوف ، وسقط إلى البحر ميتاً ، وأخرج بعد ذلك ، وعرض أمره على حضرة
مولانا الوزير المشار إلى حضرته فاستشاط غضباً وغيظاً وتأججت نار حميته
وزادت لهباً ، وبرز أمره الشريف بإجهار النداء لجميع العسكر المنصور بمن يأكل
العلوفة السلطانية من عثمانى إلى ألف أن يجتمعوا في قرّة ميدان ، ولم يتخلف
أحداً ، فامثلوا الأمر [٥٩] ذلك واجتمعوا أسفل القلعة المنصورة ، وأقام
سنجقاً سلطانياً ، ونادى من كان طائعاً لله سبحانه وتعالى ولرسوله وللسلطنة
الشريفة الخنكارية ، فایقف تحت هذا اللواء ، ومن خالف وخان وسعى في
الأرض بالفساد حاربناه وقتلناه ، فحضر كل أمراء الأولوية الشريفة من المستحفظان
بمصر المنيفة . بمن يأكل العلوفة وأجابوا بمزيد السمع والطاعة ، ووقفوا تحت
السنجق السلطاني وقالوا نحن عبيد مولانا السلطان ، ویمثلون لأوامره الشريفة ،
وأمر مولانا الوزير صاحب السعادة ، وأن جميع ما يأمرنا به فعلناه وكل من
تخلف منا قاتلناه ، فلما كان الأمر على ذلك أظهر لهم حضرة مولانا الوزير خط

همايون المتقدم ذكره المتضمن لرفع الطلبة ، وأن كل من طلبها ، أو تسبب
 في أخذها أو تحصل عليها بوجه من الوجوه يكون ساقطاً مخرجاً من ديوان
 الجند بعد التحقير الشديد والتنكيل به [٦٠] فذكر لهم حضرة الوزير أن
 من بعض البلوكات عسكرياً أشقيا يصدر منهم مثل هذا الفساد في كل حين ،
 والتجربى على قتل الأمراء وأرباب الدولة والأكابر جرأة وعدم مبالاة ، فإن
 كنتم تريدون الصفح عنكم فيما صدر منكم سابقاً ، فتقبضون عايتهم وتسلبوهم إلينا
 لنخرج من حقهم فأجابوا بالسمع والطاعة ، وقبضوا على من كان معروفاً منهم
 بذلك فأسلموهم لحضرة مولانا الوزير نصره الله تعالى ، ثم حلفوا بعد ذلك يميناً
 معظاً على كامة واحدة ، أشهدوا على أنفسهم أنهم من اليوم لا يمشون في أمر شيء
 يقال له الطلبة ، ولا يذكرونها على لسانهم ، ولا يقررون عليها ، وخرجوا على ذلك
 وصاروا كل من عرفوا ذلك منه يكذبون عليه ويحضرونه لحضرة مولانا
 صاحب الدولة وسكنت الفتنة بمقتضى ذلك ، واطمأنت العباد ، وحصل للفلاحين
 والرعايا غاية الانتعاش ، واتسعوا غاية الاتساع [٦١] بعد أن كان الواحد من
 الفلاحين لا يملك ريش دجاجة ، وصار عندهم الأوز والدجاج والأغنام والشيء
 الزايد ، والبركات المتزايدة آمنون مطمئنون ، في ظل الدولة الشريفة . وصار
 الكبير لا يقدر أن يُجبر على الصغير ، ولا يأخذ أحد من الباعة شيئاً إلا بأزيد
 من ثمنه ، وصار الذهب والغنم في المرتبة سواء ، ثم بعد ذلك ورد أمر أخنكاريأ
 بأن يجهز من العسكر المنصور نحو ألف فارس لحضرة مولانا السردار بالديار
 الشامية لأجل دفع الطائفة الجلالية ، فأجابوا كلهم بالطاعة وأذعنوا للأمر ،
 وجهز مولانا صاحب السعادة العسكر المطلوب على أتم الوجوه ، ولم يصدر من
 أخدمهم مخالفة ولا إيذاً لمخلوق ، فتوجهوا صحبة سردارهم المعين من جانب مولانا
 الوزير أدام الله تعالى نصرته ، هو الجانب العالى حاوى المفاخر والمعالى الأمير
 قانصوه مير اللواء الشريف السلطاني بالديار المصرية ، وتوجه بالعساكر المنصورة
 إلى قتال الطائفة [٦٢] الخوارج الجلالية فسار هو وهم يقطعون الفيافي والمراحل
 بالبشر والسرور إلى أن قدموا المملكة الشامية ، واجتمعوا بحضرة الوزير

الأعظم ، والدستور الأجدد الأكرم ، حضرة مراد باشا المفخم المعظم ، وهو السردار الأعظم ، وصار في خدمته بما معه من العساكر المنصورة المصرية ، وكذلك جميع مامعه من العساكر إلى أن التقوا بمكان يقال له «كوكسون يايلاسى»^(١) ووقع بينهم القتال ، والحرب والصيال ، وتجاوزا وتجادلاً ، وتقابلا وتقاتلا ، فنصر الله تعالى الإسلام ، وأعلا كلمة الإيمان ، وأخذ الخوارج اليلام ، ببركة النبي عليه السلام ، وقتل منهم طائفة كبيرة لاتعد ولا تحصى ، ولا تحدد ولا تستقصى ، وولوا على أعقابهم مدبرين ، وقطع دابر القوم الذين ظلموا ، والحمد لله رب العالمين ، وأظهرت العساكر المصرية اليد البيضاء في ذلك وأبلوا بلاء حسناً وأظهروا [٦٣] شجاعة عظيمة عرفوا بها ، وأفرغ حضرة الوزير الأعظم على الأمير قانصوه الخلع السنية والترقيات البنية ، هو ومن معه من العسكر كل منهم على حسب مرتبته وبما ياتق به من المناصب المصرية ، وأذن بعد الأنعام للأمير قانصوه ومن معه بالعود إلى منازلهم ، ومحل أوطانهم ، فعادوا سالمين غانمين ، فرحين مستبشرين ، كأنهم لم يقاسوا تعباً ، ولم يعانوا وصباً ولا نصباً ، ولا مشقة ولا خطراً ، ولا ألماً ولا سقراً ، وكان دخول السردار إلى مصر المحروسة يوماً مشهوداً ، شهدته الكبير والصغير ، وجميع أكابر مصر وأمرائها وعلمائها وفضلائها ، وسائر الأمراء المستحفظين والنوبتجية ، والسنجق الشريف مفرود على رأسه ، والنوبة السلطانية تدق بين يديه ، وكان دخوله مصر المحمية في يوم «الجمعة المبارك»^(٢) وقد طاع إلى الديوان الأعلا في غاية العظمة ، وواجه حضرة مولانا صاحب الدولة [٦٤] والسعادة ، فتلقاه بغاية الإقبال والعظمة

(١) في الأصل « بياض المخطوطة » وأكملت اسم المكان من مخطوطة « كشف الكربة في رفع الطلبة » وجه ورقة ٤٣ ، من الجزء المحذوف من الطبعة المشار إليها سابقاً .

(٢) في الأصل « بياض المخطوطة » والتكملة من مخطوطة « كشف الكربة في رفع الطلبة » ظهر ورقة ٤٣ ، من الجزء المحذوف ، من الطبعة المشار إليها .

والإجلال ، وشكر صنيعه وسعيه وكذلك جميع من معه من العساكر السلطانية
 وشرف معاظفة بالخلع السنية الفاخرة ، وأنعم عليه بالنعم الجزيلة الوافرة ،
 وكذلك كتحداجا ووشيتة ومن كان مشهوراً بالفروسية والشجاعة وانبطوا
 غاية الانبساط ، وحصلوا مرادهم وصاروا في ألد ما يكون من النشاط ، وأنعم
 عليهم بالعود إلى بلادهم التي كانوا بها سابقاً ، كل ذلك وهم في غاية الطاعة
 والإذعان ، والخضوع والاستكان غير أن طائفة من الأشقياء كانوا قديماً في
 أسنانهم طعم حلاوة «الطالبة» فصاروا يصابرون عليها ، ويحتالون على الكشاف في
 أخذها ، ويُغتر بعضهم بعضاً في القيام بطلبها ، فلم يطاوعهم أحد من الكشاف
 على ذلك ، فقدر الله سبحانه وتعالى بعد مدة يسيرة أن شخصاً من الجند الذين
 عادوا من السفر يدعى ()^(١) أحضر حكماً من حضرة السردار الأعظم
 بمنصب [٦٥] دوايرية الغربية ، وأنعم عليه بذلك من قبل مولانا صاحب
 السعادة زيد إقباله ، وأعطاه بذلك قفطاناً ، وكتب له حكماً شريفاً خطاباً لمولانا
 قاضي القضاة إسماعيل أفندي الحاكم الشرعى بالغربية ، والكاشف بها هو فخر
 الأكابر الأمير محمد الحلوجي بالتمسكين فامتثلاً ذلك ولبس الخاذة الشريفة
 ونودي له بذلك بالحنة الكبرى ، وهو لابس القفطان على العادة ، فر على طائفة
 من الجند وهم مجتمعون جالسون تجاه بيوت القهوة بوسط السوق ، فلما أن رأوه
 وعانينوه وهو لابس القفطان فرعوا عليه جميعاً بأسامحتهم وأرادوا قتله وتكلموا
 بكلام غير لائق ، وقالوا له إن لبست هذا القفطان ، أو تصرف في الدوايرية
 قتلناك فمن خوفه على نفسه قلع القفطان ، وتوجه إلى المحكمة الشريفة ، والكاشف
 مقيم بها فآلقاه إليهما ، وأعلمهما بما وقع ، وإذا بطائفة من الجند هجموا على مجلس
 الحكم الشريف ، وحصل منهم ما لا خير فيه ، من أنواع السب في حق الكاشف ،

(١) بياض في المخطوطة ولم يذكر اسم هذا الشخص ، ولم يذكره كذلك ابن أبي
 السرور في كشف الكربة ، بل ترك مكان الاسم بياضاً في كلتا المخطوطتين ، انظر : كشف
 الكربة في رفع الطلبة ، ص ٣٤٧ .

وقالوا [٦٦] من جملة ذلك إيش هذا الذى عملته داوداراً هذا ما يستحق أن يكون مشدداً فى أقل النواحي ، فقال لهم الكاشف أنا ما فعلت هذا إلا امتثالاً لحضرة مولانا الوزير الذى مكنه فانه جهز أمراً مرتباً على إعطاء السردار ، ولا يمكن الإمتناع ، فحصل منهم أيضاً قلة أدب زائدة جداً ثانياً ، وتم الأمر على المنع ، وقد كانت هذه الفعلة داعية لقيامهم ، وكتابتهم لبعضهم بعضاً من من طائفة الإسباهية البلوكات الثلاث لساير أقاليم مصر الاثنى عشر^(١) ، وأن يجتمع ساير الجند المكتوبين بهم يوم الجمعة المباركة فاجتمعوا كلهم فى أوائل شهر القعدة الحرام سنة سبع عشرة وألف^(٢) ، بمقام مولانا القطب الربانى والعارف الصمدانى الشيخ أحمد البدوى بطندتا بالغربية نفع الله تعالى به ، فاجتمع هناك ساير الجند من الأقاليم المذكورة ، وتحالفوا داخل المقام وتعاهدوا وتعاقدوا ، وأوثقوا الإيمان الذى ما عندها إيمان ، على أمور [٦٧] يفعلونها وأنهم فى ذلك على قلب رجل واحد فى الحالات الست ، وأن لا يتخلى أحد منهم عن الآخر موتاً ولا حياة ، ومن جملة ما تعاقدوا عليه طلب بعض جماعة من أكابر الدولة ليقتلونهم ، وأخذ الطالبة التى هى معظم الفتنة . وتواردت أخبارهم بذلك من الثقة^(٣) وغيرهم واشتهر ذلك عنهم وذاع ، وملاً الأسماع والبقاع ، ومن أعجب ما أشيع أن جند إقليم الشرقية هجموا على الكاشف بها هو نخر الأمراء)

(١) كانت مصر آنذاك مقسمة إلى الأقاليم التالية :

الشرقية ، المنوفية ، الغربية ، القليوبية ، المنصورة ، جيزة ، أطفيج ، فيوم ، البهنساء ، أشمونين ، منفوط ، جرجا .

(٢) فبراير ١٦٠٩ .

(٣) فى كشف الكربة «البغاة» ، والصحيح ما ذكره المؤلف . انظر كشف الكربة ،

ص ٣٤٩ .

(٤) يباين فى الأصل ، ويبدو أن الأمر التمس على المؤلف أنه كاشف إقليم الشرقية أم المنوفية ، وترك الأمر لتحقيقه ولكنه لم يفعل ذلك ، وقد ذكر ابن أبى السرور أنه =

في منزله وطلبوا منه كتابة وصولات بالطلبة . وقالوا له نحن كنا في السفر السلطاني : وما كان معنا نفذ بأجمعه ، وقد بعنا جميع ما عندنا في السفر من العدد والآلة ، ولم يبق بيدنا شيء ، وركبتنا الديون ، ونحن لنا ثمانية عشرة خدمة ، ولا بد أن تطلقها لنا فامهلهم ثلاثة أيام ، وأعرض هذه الواقعة على حضرة مولانا الوزير بالتفصيل ، والنس الجواب بالاذن في ذلك أو عدمه على يد كتخدايه المقيم بمصر ، فلما أطلع مولانا صاحب [٦٨] السعادة على العرض غضب غضباً شديداً ، وصدّم التصميم الكلى على المنع ، وأن لاجواب في ذلك ، فلما تبين لهم حقيقة المنع اجتمعوا بأمرائهم وبجميع مامعهم من اللقيف والاتباع ، وطلبوا إطلائهم وأخذوا معهم من وجدوه في طريقهم من داعية الفساد من الجماعة البطالة الذين ليس لهم علوفة ، وما انضم إليهم من أهالي الفساد ، وكتبوا مكتوباً لحضرة مولانا صاحب الدولة والسعادة بما يطلبونه ويرومونه : هذا وقد أقاموا أربع سناجق ورتبوا جموعهم ونشروا أعلامهم ، وجعلوا لهم كاتباً لضبط أسمائهم وعملوا يقلعه وتجمعوا بقضهم وقضيضهم بالأت الحرب والقتال ، والعدة الكاملة والأهبة الشاملة ، وصاروا لا يمرون على قرية إلا وأخربوها ودمروها من نهب جميع ما يجدونه من الغلال والسوايم والعليق والأغنام ، وأنواع المطاعم . ودهكوا الزراعات بحوافر خيولهم [٦٩] خصوصاً بما يتعلق بالأماء ، فانهم أكبر أعدائهم ، فانهم كانوا يقولون بإباحة ما يأخذونه منهم ، وفعلوا أفعالا لا يفعلها من في قلبه رقة ولاشفقة على المسلمين ، وبدت منهم أمور منكرة جداً ، فلما رأى الأمانة ذلك على ما قيل ، طاعوا إلى الديوان العالي ، وشكوا هذه الفعایل لحضرة مولانا الوزير نصره الله تعالى وقالوا نحن فينا كفاءة لحرهم ، هذا والطايفة المذكورة مستمرون على فسادهم وعنادهم ونهبهم جميع ما ظفروا

== كاشف ألقاب المنوفية ، حيث كتب في مؤلفه « وأعجب ما حكى أن بعض الجند المقيمين بالمنوفية ، هجموا على الكاشف بالإقليم ، هو فخر الأكابر سليمان ابن درغوث ، وطلبوا منه كتابة وصولات الطلبة » ، ص ٣٤٩ .

به ، ومن جملة العكوسات أنهم نزلوا بمكان يقال له منى جعفر^(١) بالشرقية ببايس فأقاموا به ، وهو بالقرب من مكان يقال له ، تل اليهودية وصاروا في كل يوم يمر في زيادة من داعية الفساد ، فلما أن تقرر خروجهم ، وظهر واتضح لمولانا الوزير نصره الله ، فقد أمر مناديا ينادى لجميع العساكر المصرية ، المطيعين للحضرات الخنكارية من أمراء [٧٠] الألوية الشريفة والجركسية ، والمتفرقة ، والجاوشية ، وما وجد من الاسباهية المقيمين بالديار المصرية ، والينكجيرية والعزب ، وغير ذلك ممن يأكل العلوفات السلطانية من عثمانى إلى أكثر ، وأحضر ساير الأمراء من الأقاليم أيضاً فحضروا جميعاً بالآت حربهم ، ومن يعتمد عليهم في حسن الرأي وأصابته ، ونصب ديوانا طنانا في خصوص ذلك وذكر لهم أمر العساكر الذين خرجوا عن الطاعة ، وطابوا القتال ، واستشارهم في ذلك ، وأراهم صورة نقش ضميره في مرآة مقاله ، فإن القائل يقول :

أقرن برأيك رأى غيرك واستشر

فالحق لا يخفى على رأيين

المرء مرآة تريه وجهه ويرى قفاه بجمع مرآتين

ولابأس بالاستشارة من ذوى رأى والمثوبة والحكمة لقوله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ، « وشاورهم في الأمر » ، وقال سبحانه وتعالى مخاطباً له ، « ولاتك في ضيق مما يمكرون »^(٢). (وذلك لما ألب الطلب عليه ، وقصدوه [٧١] بالمكر والمكره ، كما أخبر الله تعالى بقوله ، ولاتك في ضيق مما يمكرون ، وكان رؤساء قريش ، اجتمعوا في دار الندوة للتشاور في أمر النبي صلى الله عليه وسلم فأتاهم إبليس لعنه الله تعالى ، في صورة شيخ أعرابي ،

(١) تعرف حالياً باسم السلمانية ، من قرى مراكز شبين القناطر ، محافظة القليوبية .

(٢) من هنا وحتى نهاية الفوسين (٠ ٠) في منتصف ص ٧٣ خروج عن

للموضوع .

فأرادوا إخراجهم ، فقال لهم إني رجل من أهل نجد . ولاغنى عليكم مني ولعلمكم لاتعدمون من محضري خيرا ، فأخذوا في تشاورهم ، فقال عتبة أرى أن تخرجوه من بين أظهركم . فان ظفر كان ظفره حطلا لكم . وان قتل كنتم قد كفيتم أمر دمه ، فقال ابايس ما هذا برأى . أما سمعتم حلاوة منطقة وأخذه بالقلوب . فلا تأمنوا أن يقع في حى من أحياء العرب فيستفسد أهواءهم ويسيرهم اليكم حتى يفرق جماعتكم . فقال آخر منهم أن يوثق فالجس حتى يأتيه أجله . وهو في حبسه فقال إبليس لعنة الله عليه . ليس هذا رأى . أما علمتم أن له أهل بيت وأتباع . لايرضون منكم بهذا فيقع الحرب [٧٢] بينكم وبين أمركم ثم قد تكون الدائرة عليكم فقال أبو جهل أرى أن نأخذ من كل قبيلة من قبائل قريش شابا جدا . ونعطى كل منهم سيفاً ويأتونه في مضجعه . فيضربونه ضربة رجل واحد ، فلا يقدرון أهله أن يطلبوا بدمه جميع القبائل إذا افترق دمه بينها ، فقال إبليس لقد أصاب ، فنفروا على رأى أبى جهل وأوحى الله تعالى إلى رسوله عليه الصلاة والسلام يعرفه مكرهم ويأمره بالهجرة إلى طيبة ، وجاء الذين تخيرونهم من القبائل - لقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم - إلى منزله من أول الليل ، وأوصى النبي صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله عنه أن يابس برده الأخضر وينام على فراشه وأعلمه أن لا يصله أحد من قريش بمكرهه ، فالتحف على كرم الله وجهه ببردة النبي صلى الله عليه وسلم ، ونام على فراشه ، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم من بيته : والقوم على الباب . فقرأ أوائل سورة يس والقرآن الحكيم . وأخذ كفأ من التراب [٧٣] وجعل يذرية على رؤوس القوم وهم لا يرونه وانصرف صلى الله عليه وسلم متوجها نحو الغار ، وجعل المشركون ينظرون إلى على كرم الله وجهه في مضجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه برده الأخضر فيقولون هذا محمد نائم ولا يطيقون الدخول حتى أصبحوا وقام على رضى الله عنه ، فنظروا إليه فأتوه وقالوا له أين محمد فقال لأدري أمرتموه بالخروج فخرج فخبس في المسجد ساعة ثم تركوه ، عوداً إلى ما نحن فيه ، فنهض من أثره بأن الرأى المتين ، والمنهج المبين

وتطيب نفوسهم بما يطالبونه إلى أن تطفى هذه النائرة، فإن الأمر ربما يتسع، ولا يتجمع، ويعسر الإلتيام. ويترتب على ذلك مراتب صعبة المرام. من هلاك الأنفس والأموال، ودهك الرعايا والرجال، وإذا توجه كل منهم إلى محله، فيؤخذ المفسد بالتدبير، ولا يثبتك مثل خبير، فأم يقبل هذه الإشارة ولا التفت إلى هذه العبارة، ومنهم من قال [٧٤] بل نقاتلهم إلى أن يحكم الله بيننا وبينهم. وكان من تكلم بهذا الكلام. ونطق بهذا المرام. الناصح للسلطنة الشريفة. الباذل مهجته ونفسه في مرضاتها المنيفة حضرة نحر الأمر أو كنز الكبرا، زين الدين صالح، أمير اللواء الشريف، حفظه الله تعالى وأعانه على فعل الخيرات، ودفع المنكرات. فإنه قال من المحال أن نرجع عنهم إلا بالقتال، إلى أن ينفذ القضاء والقدر، فأجابه إلى هذا الرأي جميع الأمراء والعساكر المشار إليهم، وأقام حضرة مولانا الوزير نصره الله تعالى نحر الامرا الكرام، عمدة الكبرا الفخام، الأمير مصطفى مير اللواء الشريف السلطاني، سرداراً على العساكر الشريفة لما علم أنه مستحق لذلك وفيه كفاة تامة، وعين معه شديداً لعضده، ودفعاً لملائته حضرة مولانا نحر الأماجد والأكابر، حاوى المحامد والمفاخر، الجنب العالى، والكوكب الوضاح فى أفق المعالى، الأمير مصطفى كتخدا الطائفة الجاوشية بالديار المصرية، وسائر الأمناء والملتزمين وانعقد [٧٥] الإجماع على ذلك وبرز أمره الشريف ببيورلدى شريف للطائفة المذكورة على يد مولانا نحر الفضلا عمدة النبلا، محمد أفندى الشهير بالتى يرمق زيدت فضايله، وأغاة التوفكجيان، متضمننا للوعظ والنصائح لهذه الطائفة، ويحذرهم من غضب الله عليهم، وغضب السلطان، وأن يقاعوا عما هو فى زعمهم من خيالاتهم الفاسدة الذين لا يقدرّون عليها، ولا يورثهم ذلك إلا الخذلان والبوار، وبعد الدار، وانهم يرجعون ويتوبون إلى الله سبحانه وتعالى، ولا يرجعون لما صدر منهم، ويدخلون فى عموم العسكر بنفس رضية، ونية مرضية

فان فعلوا ذلك ساحتهم ، وعفونا عنهم ، مع عدم الإنتقام ، والتوجه الى بلادهم
ومرعاتهم الزائدة ، وبإمثال هذا الكلام ، فتوجها إليهم وقرأ عليهم البيورلدى
الشرىف ، وطرز الشيخ المشار إليه نصايح وعظات أوردها عليهم^(١) ، (ومعناها ،
هو أنه ليس بخاف على العاقل اللبيب ، الفطن الارب أن الاتسام بصفة
العصيان ، والخروج عن طاعة [٧٦] سلطان الزمان من سمات الغرور ،
وصفات كل غبي مغرور ، ومخالفة أوامر سلطان البسيطة ، الذى أوامره فى
أطباق الآفاق محيطه ، صاحب العسكر الجرار كالجراد المنتشر ، والجنود الغالبة
والجيوش المنصورة ، التى لا تعد ولا تنحصر ، هذا وقد كنتم غارقين فى نعم
السلطنة بألد العيش ، وأنعم البال ، لا تشوبكم شايبة من الوبال ، وكنتم كما قال الله
تعالى «وأضرب لهم مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان
فكفرت بأنعم الله»^(٢) ، ومثل هذه الوقائع الصادرة عنكم لا تصدر عن عاقل ،
ولا يتجرى عليها بالاقدام أحد ولو تحصن بالمعاقل ، لكن نحن نبريكم أن يقع
منكم شئ . من هذه الوقائع ويصدر عنكم مثل هذه الشنايع البشايح ، وقد قرن الله
تعالى فى كتابه المجيد الأمر بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ، وإطاعة ولاية
الأمور ، فقال تعالى كما لا يخفى عنكم «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا
رؤسول وأولى الأمر منكم»^(٣) وأمر الشارع صلى الله عليه وسلم [٧٧] بقتل
من خاع ربقة الطاعة ، وخالف الجماعة ، فقال عليه الصلاة والسلام وأمره لاحق
بأمر القران ، «من أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهو جمع فاضربوه بالسيف
كأينا من كان ، ، وحيث كان الأمر كذلك فاللايق بكم التبرى عن هذه الفتن ،
والتنصل من صدور هذه البشايح ، ما ظهر منها وما بطن ، ومن الظاهر المعلوم أن
هذه الفضايح لم تصدر من عاقل بل من غوغاء الأشقياء بمن استغواهم الشيطان ،

(١) من هنا وحتى السطر الرابع من ص ٨١ ، خروج عن موضوع النص ولذا وضناه
بين القوسين (. . .) .

رة النحل آية ١١٢ ، وصحة الآية « وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة

واستخفهم البغى والطمعانيان ، فإذا فعلتم ذلك تفوزوا بالخط الأوفر ، والالخط السلطاني الأكبر ، الذى هو أعز من الكبريت الأحمر ، وإن أيتم ونأيتم وخالفتم وعصيتم ، فهذا ظن واهى ورأى متناه فى الغباوة غاية التناهى ، والأمر حينئذ عظيم ، والخطب جسيم ، ولا ينبئك مثل خبير ، والله الغفور الرحيم ، وضرب لهم مثالا أيضاً يأتى بما هم فيه لا بأس بذكره للاعتبار والعظة ، وذلك أن الخيشوان^(١) [٧٨] ملك الهياطلة لما أسر فيروز بن يزدجرد ملك فارس وأراد إطلاقه أخذ عليه عهداً^(٢) أن لا يغزوه ولا يقصده بمكرهه ، ووضع فى أقصى أرض الهياطلة صخرة وأخذ على فيروز عهداً أن لا يتجاوز تلك الصخرة ، ولما استوثق الخيشوان من فيروز بما أخذه عليه من العهد أطلقه ، فلما رجع فيروز إلى دار مملكته داخاته الحمية والأنفة والعظمة وعزم على التوجه إلى الخيشوان وأطاع وزراه على ذلك فحذروه النكث وخوفوه عاقبة البغى وذكره العهود الذى أخذها عليه الخيشوان وقالوا له لكل عاثر راحم إلا الباغى فإن القلوب مطبقة على الشماتة بمصرعه ، وما أعطى البغى أحدا شيئاً إلا أخذ منه أضعافه وما كثر من كثره البغى ، ولا قوى من قواه الظالم ، ولا ملك من ماله كره الغضب ، فقال لهم إني إنما حلفت له أن لا أتجاوز تلك [٧٩] الصخرة وأنا أمر بمحاملها على فيل فيكون بين يدي جنودى ، لا يتجاوزها أحد منهم ، فلما رأوا وزاره أن الهوى قد وقف به على حد الرضا بهذا القول علموا انقياد عقله لشهوته ، فأمسكوا وأقسموا أن لا يراجعوه فاخرج فيروز مرازبه وهم أربعة يتبع كل مرزبان منهم خمسون^(٣) ألف مقاتل — كان كل واحد منهم حافظاً لربع مملكته وأمرهم بالتجهيز لحرب الهياطلة ففعلوا ، وسار فيروز نحو الخيشوان ، وهو يضعف عن مقاومة مرزبان من مرازبة فيروز ، وإنما كان

(١) فى الأصل « الخيشوان » والتصحيح من « كشف الكربة » لابن أبى السرور ، الجزء المحذوف من الطبعة المشار إليها ، ظهر ورقة ٥٢ .

(٢) فى الأصل « عهد » .

(٣) فى الأصل « خمسين » .

ظفره به أولاً بمكيدة ، وقد كان مؤابن قال لفيروز حين قوى عزمه على الخيشوان لا تفعل أيها الملك فان رب العالم يهمل الملوك على الجور ما لم يأخذوا في هدم أركان الشريعة ، فلا تتعرض له بسوء ، فلم يلتفت فيروز لهذه المقالة [٨٠] وركب هواه وسار قاصداً نحو الخيشوان حتى انتهى إلى تلك الصخرة التي نصبها الخيشوان لفيروز ، واستحلفه أن لا يتجاوزها فأمر فيروز بقلعها وحملها على فيل ، وأن يكون الفيل الذي يحملها بين يدي عسكر فيروز ، ونهى أن لا يتجاوز ذلك الفيل أحد من العسكر ، فلما بعد عن ذلك الموضع الذي كانت فيه الصخرة ، وعلم الخيشوان ، قصد فيروز عليه لحربه ، حمل نفسه على التثبت ، وتوكل ووكل الأمر إلى الله تعالى وسأله أن يغضب لعموده وموائيقه التي لم يرعها فيروز ، ولاخاف نكثها لخصن ثغوره ، وجمع إليه جنوده ، وأعد للقاء فيروز عدته ، وأمهل حتى وطىء فيروز كثيراً من أرضه ، وتوسط ملكته ، وعاث ببلاده ، وأساء على رعيته ، فنهض إليه ففاجأه ، وصدقه الجلاد ، ففر فيروز منهزماً ، وتسلّم ما كان في يده وقتل ، [٨١] الخيشوان رجاله وغنم أمواله ، وأمعن في طلب فيروز حتى ظفر به فقتله وأسر إبله ، وجماعته وأصحابه ، وكانت العاقبة له ، وانقلب بغى فيروز عليه ، وهذه عاقبة البغى والتعدى ، وضرب أمثالا لكثيرة من هذا المعنى ، فام يتعظوا ولم ينزجروا ، ولم يطرق هذا الكلام أسماعهم ، وأصروا على ما هم عليه ، ولم يلتفتوا ويتعظوا بقول الله تعالى ، ومن بغى عليه لينصرنه الله ، وبقوله تعالى يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم ، وقوله سبحانه وتعالى فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى ، والبغى شيء مشوم ، وعند الله يجتمع الخصوم ، واستمروا على المخالفة والعصيان ، والشقاق والطغيان ، فرجع المشار إليهما من عندهم ، وفاوضاً^(١) حضرة مولانا صاحب الدولة والسعادة بذلك ، وكان ذلك أيضاً بعد إجهار النداء ، بأن كل من يأكل العلوقة السلطانية في قایل أو كثير يتجهز ويبيت

عند السردار المشار إليه [٨٢] بقراميدان بآلات الحرب والقتال ، فامثلوا ذلك وأحضروا لامة حربيهم ، وعدتهم وأسلحتهم وأقاموا ليلتهم تلك وهم متقلدين بأنواع السلاح ، وأصبح السردار المشار إليه صبيحة يوم الأربعاء المبارك سابع عشرة القعدة الحرام سنة ١٠١٧^(١) . ونخر الأمرا الكرام عمدة الكبرا الفخام ، الأمير يوسف بيك مير اللوا الشريف ، وأمير عربان هواره ، واقليم دجرجا بالوجه القبلي ، وكامل اقليم الصعيد الملقب بالغطاس ، لا زال محروساً بملايكة إله الناس ، ونخري ذوى الاقيال ، والعظمة والإجلال ، الأمير قانصوه ، والأمير محمد بيك ، وصحبهم من العساكر المنصورة ما يسد عين الشمس في كبد السماء ولم يبق بمصر إلا نفل كشيخ هرم أو طفل أو نحو ذلك ، بالعاديات ضبحاً والموريات قدحا ، والبنادق والمكاحل ، وأثاروا من دخان البارود وسنابك الخيل نقماً صير النهار كظلمة الليل ، ما بين فارس وراجل ومبندق ونابل ، [٨٣] وذلك غير ما صحبهم من مشايخ العربان ، من ساير البلدان ، وضيقوا عليهم المطالب ، وسائر المآرب ، وأحرموهم لذية المطاعم والمشارب يحطم كل منهم صم الجنادل والجبال ، عددهم ما ينوف عن عدد الحصى والرمال من كل خواض للغمرات ، نهاض بالغرماط ، رواض للحاجات على صواهل ينقلن الأطواد عن صهواتها ، ويقذفن الزبد كالحمام من لهواتها ، ويكتفن طلايع النقع بكوكب غرة جهاتهما ، ويعانقن بيض الصفاح بسود ذوايب صفحاتها ، وطيور الهام تقصد من الأحداق أوكارها ، والأوتار تطلب من الفتنة الباغية تارها ، ويشعلن نارها والحديد قد سد على النبال المنافذ ، والنصل تكسرت على النصل كأنهن قنafd ، فتوجهوا إلى الريدانية بعزيمة قوية ، ونخر العربان ، قاهر ذوى الطغيان ذى الأصل الأصيل الأثير ، الأمير على ابن الخبير ، قد توجه إلى ناحية بولاق وجزيرة الفيل ، [٨٤] تجاه العسكر الشريف فينبأهم مستعدون ، وللحرب متأهبون ، إذ بلغهم أن الطايفة المخذولة المأسورة ،

(١) ١٢ فبراير ١٦٠٩ م .

قد اقترفوا ثلاث فرق ، وقصدوا أن يكبسوا على العساكر المنصورة في تلك الليلة ، فقال الأمير يوسف أن من رأى المتين ، والقول الرصين أن يتوجه إلى خان البهار ، الذى هو ورا الطبخانة ليدخل فيه الضعيف والعاجز منا ، وأما نحن فنبيت خارج الباب ، ونجعل أظهرنا إلى الخان ، فنكون محصنين ، حتى لا يأتون من ظهورنا ، فقدر الله تعالى الذى لا راد لأمره ، ولا مرد لحكمه ، أن فى تلك الليلة ثارت رياح عظيمة ، وبرق ورعد كنفخ الصور ، وأمطار غزيرة دامت إلى البكور ، ورفع لحضرة مولانا الوزير أدام الله تعالى أيامه أن الجند الأشقياء ، قد تجمعت بما انضم إليهم من اللفييف ، وأرادوا الهجوم على المدينة ونهبها ، وقتل أكابرها [٨٥] واستباحة أموالهم ، فوعظهم ثانياً ، وحذرهم سطوة الخنكار أعز الله تعالى أنصاره ، وضاعف اقتداره ، فلم يمتثلوا ذلك ، ولم يزدادوا إلا تمرداً وعصيانياً وطغياناً ، وشقاوة ، فضاق صدره لذلك وجرح جرحاً شديداً ، واهتم لذلك جداً ، ودعى الله سبحانه وتعالى وفوض أمره إليه ، وأن الأمر فى ذلك كله راجع لما يقتضيه ، وقد بالغ النبي صلى الله عليه وسلم فى التصريح به والنص عليه بقوله لعبد الله بن مسعود « ليقل همك ما قدر يأتيك ، وما لم يقدر لم يأتك ، وأعلم أن الخلق لو جهدوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عز وجل لك لم يقدروا على ذلك » ، « بقوله عليه الصلاة والسلام « ليقل همك أمر بالتفويض » ، وقوله « ما قدر يأتك » ، بيان العلة ، التى من أجلها فوض العقلاء ، وسلموا إلى الله عز وجل ، ونحو ذلك كما روى فى مسند مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبى هريرة . [٨٦] فى كلام قاله له « فان أصابك شيء فلا تقل ، لو فعلت كذا كان كذا كذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فان « لو » تفتح عمل الشيطان ، فذله على التفويض إلى الله ، والتسليم لأمر الله ، ونهى عن قول « لو » لما كانت تنافى التفويض إلى الله ، وتقضى الاعتراض على قدرته ، والتوطى لدفع مشيئته ، قيل كان الحجاج ابن يوسف الثقفى إذا تعارضت أراؤه فى خطب من الخطوب .

دعها سماوية تجرى على قدر لا تفسدها برأى منك منكوس .

هذا وقد عدوا أيام الحجاج من الفتن العظام على ما ذكره إمام المحدثين ، سلطان العلماء المجتهدين الشيخ جلال الدين بن المرحوم كال الدين السيوطي الشافعي في كتابه تاريخ الخلفاء ، قال قال ابن أبي حاتم في تفسيره ، حدثنا يحيى ابن عبدك القزويني ، حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا [٨٧] المبارك بن فضالة عن علي بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن العريان بن الهيثم عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما ، قال ما كان منذ كانت الدنيا رأس مائة سنة إلا كان عند رأس المائة الأولى أمر قلت كان عند رأس المائة في هذه الملة فتنة الحجاج ، وما أدراك ما الحجاج ، وفي المائة الثانية فتنة المأمون وحروبه مع أخيه ، حتى درست محاسن بغداد ، وبأد أهلها ، ثم أقتل أخاه أشر قتله ثم امتحانه الناس بخلق القرآن ، وهى أعظم الفتن في هذه الأمة . وأولها بالنسبة إلى الدعا إلى البدعة ، ولم يدع خليفة قبله إلى شىء من البدع ، وفي المائة الثالثة ، خروج القرمطى ، وناهيك به ثم فتنة المقتدر ، ولما خلع وبويع لابن المعتز ، وأعيد المقتدر ثانى يوم ، وذبح القاضى وخافا من العلماء ، ولم يقتل قاضى مثله في الإسلام . ثم فتنة تفرق الكلمة ، وتغلب المتغلبين على [٨٨] البلاد واستمر ذلك إلى الآن ، ومن جملة ذلك ابتداء دولة العبيدية ، وناهيك بهم إفساداً وكفراً وقتلاً للعلماء والصلحاء ، وفي المائة الرابعة كانت فتنة الحاكم بأمر أبلّس لا بأمر الله ، وناهيك بما فعل ، وفي المائة الخامسة أخذ الفرنج الشام وبيت المقدس ، وفي المائة السادسة كان الغلا الذى لم يسمع بمثله منذ زمن يوسف عليه السلام ، وكان ابتدا أمر التتار وفي المائة السابعة كانت فتنة العظمى التى أسالت من دماء أهل الإسلام بحاراً ، وفي الثامنة كانت تمرلنك التى استصغرت بالنسبة إلى فتنة التتار على عظمها ، قال الشيخ رحمه الله تعالى ، وأنا أسأل الله أن يقبضنا

إلى رحمته ، قبل وقوع الفتنة التاسعة ، وأنا أقول أيضاً وأسأل الله سبحانه وتعالى ، وأتوسل إليه بنبيه صلى الله عليه وسلم أن يقبضنا إلى رحمته وغفرانه قبل وقوع الفتنة العاشرة ، فتأسى بذلك [٨٩] مولانا صاحب السعادة ، وقام في تلك الليلة ، فأحياها بالصلاة والقراءة والدعاء ودموعه تجري على خده ، كما أخبر عنه بعض الثقات تواضعاً وابتهالاً لله سبحانه وتعالى ، وأخذ المصحف الشريف وقبله ، وفتح له يأخذ منه فالأ مباركا ، فصادف قوله تعالى « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم »^(١) الآية ، فحصل له بذلك سروراً عظيماً ، وسرى عنه ما كان به وأخذ في إجهار النداء في تلك الليلة أنه من كان طائعا للسلطنة الشريفة فليخرج في بقية ليلته ويبيت في الطبخاناه عند العسكر الذي هو مقيم بها ، فتوجه الجمع الكبير من الجاوشية وغيرهم إلى الطبخاناه ثم أثناء تلك الليلة خرج الأمير مصطفى السردار المشار إليه ، ومن معه من العساكر السلطانية وهو في موكب عظيم زائد الانبهار لا يعد ولا يحصى إلى الطبخاناه المذكورة ، ظاهر القاهرة يوم الجمعة من الشهر المذكور ، وأمامه عشرة مدافع [٩٠] وضربانات كبار هائلة زائدة الاعتبار ، والعساكر محدقة به من كل جانب ، وهم غارقون في الأسلحة وآلات الحرب كما شرح ذلك ، ومعه سائر أمراء الألوية الشريفة ، وأمراء البلوكات الثلاث ، والألوية السلطانية منشورة على رموسهم ، والنوبة الخنكارية والطبول والزمر ، وكان يوم خروجه يوماً مشهوداً ، ولم يعهد مثله في العظمة والاهبة ، وجميع أهالي مصر قد ملوا الحوانيت والشوارع ، مزدحمين بعضهم على بعض لمشاهدة ذلك الجمع العظيم والعسكر الفخم ، وكل منهم مبتهل بالدعاء للحضرات الشريفة بالنصر والتأييد ، وأن الله سبحانه وتعالى يخذل هذه الطائفة ويعاملهم بالنكال الشديد ، وتوجه إلى الريدانية ، وخيم بظاها فلما سمع الأمير يوسف ، ومن معه من العساكر

(١) سورة التوبة ، آية ١٤ .

حسَّ صهيل الخيل وحركات العسكر وهي جانهم في بعضهم ، ظنوا أنهم قد كذبوا ، فأرموا البنادق [٩١] عليهم وهم لا يعرفونهم ، وقد حصل الرعب في قلوب الفريقين ، ولولا أن لطاف الله تعالى بالمسلمين ، وبعبسا كر الإسلام لقتل في تلك الليلة من الطائفتين ما لا يعد كثرة ، ولكن الله تعالى سلم بسمع أصواتهم فسك كل منهم يده ، واجتمعوا في محالهم ، وتولى الحرس في تلك الليلة الامر الصناجق التي بالريدانية إلى الصباح ، وقد نودي ثاني يوم خروج السردار أن جميع السوق والمتسبين والخبازين والزياتين ، وأرباب البضائع والقهوجية أن يتوجهوا ببضائعهم ، ويبيعوا ، على العساكر المنصور ، ويسيروا معهم حيث ساروا فامتثلوا ذلك وخرجوا بجميع بضائعهم إلى حيث العسكر المذكور ، هذا وقد ورد سائر أكابر مشايخ العربان حتى العصاة المؤمنین من حضرة الوزير ، وكان في السابق أرسل إليهم وأمنهم ، وحلفهم ، واستتبهم عما كانوا يفعلونه من سلب المسلمين ، وألبس مشايخهم [٩٢] خلعا عظيمة ، وقد ربطوا الطرقات من جهاتها الأربع ، وهم كالجراد المنتشر ، فلما رأَت الطائفة الشقية هول ذلك الجمع العظيم ، وهم قد سدوا الآفاق ، وفزعوا وتحيروا وارتعبوا وارتعدوا ، وأخذوا في الخيرة والإنهار ، وعميت منهم الأبصار ، وانحل برمهم ، وهبطت^(١) قواهم ، وحاروا وخاروا ، كما تخور الأثوار ، وصاروا ولهاذين حيارى ، دهشانيين سكارى ، وتيقنوا أنهم مأخوذون لا محالة ، وإنما يشجعون أنفسهم ويتعللون بالمحالة ، تخيب الله سبحانه وتعالى ظنهم وشتت جمعهم ، والعسكر المنصور يحاولهم ويحاولهم ، وقلت :

ولازموهم ثم طافوا بهم وأحدقوا كالسيف لا كالسوار
وانهزم الأعداء إذا بصروا بحر وغى تغرق فيه البحار
وعذرهم إذ هربوا واضح هل يثبت الليل أمام [٩٣] النهار

(١) في الأصل « هبط » .

وقلت :

ولما أبى الأعداء إلا تمرداً أبى الله إلا أن يكون لنا النصر
فكم زجرتهم من سلطان^(١) مواعظ فما نفع الوعظ المنية والزجر
أبى الله إلا أن يكونوا أذلة ففروا وشتان المذلة والفر

وفى أثناءه توجه حضرة السردار إلى أن نزل في ساحة بركة الحاج الشريف تجاه الطائفة المخدولة ، وكانوا قد انتقلوا من مكانهم الأول ونزلوا خلف البركة من ذلك الجانب ، وقد تحصن كل من الطائفتين والأشقياء على ما هم عليه ، من الرعب والخوف ، فأرسل إليهم السردار يقول لهم إن البلاء واقع بكم لا محالة وقد رأيتم ما رأيتم من هول العسكر وقوتهم ، ولو كنتم أمثالهم أو أمثال أمثالهم لم تقاوموهم [٩٣] لأنكم باغون خائنون ، ناكثون العهود والمواثيق ولعالمكم أن تسمعوا وتطيعوا ، وتزجروا وتتوبوا إلى الله سبحانه وتعالى وتقلعوا عما أتم عليه ، فإنني والله ناصح لكم ، وأنتم شرذمة قليلة ضعيفة بالنسبة إلى قوتنا وكثرتنا وتعرفوا أيضاً عاقبة الظلم والبغض ، وما ضربناه لكم من الأمثال ، فلما سمعوا ذلك أجابوا تشجعاً لاشجاعة ، إن أردتم رجوعنا عن قتالكم ومحاربتكم فيكون ذلك يا حدى شيئين ، إما بالخدم القديمة وهى الثمانية عشر خدمة المذكورة ، أو القتال بيننا وبينكم ، وأبى السردار ، وأقدم بمن معه من العساكر إلى قتالهم والتنكيل بهم ، بل وقتل منهم طائفة ، فلما نظروا إلى تلك العساكر المصرية وما معهم من العدد والأسلحة والبنادق والنار ، ونظروا إلى تلك المدافع الكبار المقدمة نحوهم ، وإلى كثرة العربان ، وقد صاروا بينهم كالكرة فى البسيطة ، وأنهم مأخوذون لا محالة حاروا [٩٥] ودهشوا ، وصار البندق يتساقط من أيديهم من الدهش ، واصفرت ألوانهم واحتالت أكوانهم ورغمت أنوفهم ،

(١) فى الأصل « سلطانا » .

وفأت صفوفهم ، وقرعوا باب الصلح وتعاقوا بأسبابه ، وأرسلوا إلى حضرة السردار يطالبون منه أن يأخذ لهم من حضرة مولانا الوزير المعظم محمد باشا ، أعطاه الله تعالى من العظمة والإقبال ما شأنه الأمان ، وأنهم تائبون إلى الله سبحانه وتعالى من جميع ما صدر منهم ، وأن يشفع لهم عنده في الصفح عنهم ، ويعاملهم بمافية العفو عن جرائمهم ، وأن تذهب كل طائفة منهم إلى محلها ، فأجاب سؤالهم وجهر مولانا السردار المشار إليه غفر الأكاير الأمير مصطفى كتنخدا جاوشيان المشار إليه ، لحضرة مولانا الوزير لعرض ما طلبوه وسألوا فيه ، كان جوابه الشريف هيات ، هيات ، كان هذا من الأول ، وأما الآن فلا يمكن ذلك إلا بشرط أن يقبضوا على جميع من كان سبباً لهذه الفتنة ويحضروهم [٩٩] إلى الديوان الشريف ، وإلا فها هناك إلا السيف ، فعاد الكتنخدا من ليلته وأخبر حضرة السردار بذلك ، فلما دعا داعى الصباح ونادى المنادى حى على الفلاح ، وجرد الفجر صارمه الأبيض ، ولبس الصبح المشرق نوره المبيض ، وانهمز جيش الظلام وانتشر في بياض الصبح الرايات والأعلام ، وكبت كلمة المصاع ، وحما الصراع ، ورماة الحندق من كل سرحان لا ينظر إلا من جلد أرقم ، وشيطان لا يقتحم من نيران الحرب إلا جهنم ، وهم ثايرون للهيجاء ، غارقون في دماء الدماء ، مشابرون على اللقاء ، وبرزوا بمامعهم من المدافع والبنادق ، وأكثروا من رفع الألوية والبوارق ، وزلزلوا الأرض والرمال ، ونسفوا التلال والجبال ، وأشعلوا نار الحرب وأقدموا على الطعن والضرب بما يصم الأذان بأصوات إذا أطلقت كالصواعق تهلك بالصعق وكصيب من السماء فيه ظلمات ورعد [٩٧] ذلك فلما استوثقوا بالأمان صاروا يأتون أفواجا ، خاضعون ذليلون يقبلون أقدام مولانا السردار ، ومن معه من الأمراء ذوى الاقتدار وقد صار كل واحد منهم يتوجه إلى بلوكة ويقف تحت سنجقه ، وهو في غاية الذلة والخذلان ، وقد ضحك عليهم الشيطان حتى أحلهم محل البوار

والبهتان هذا وقد ظفر بعض العسكر السلطاني بطايفة من العزيكية^(١) فقطعوا رؤوسهم ووضعوا السيف في رقابهم ، إلى أن لم يبق منهم أحد ، سوى ما تسحب منهم طريداً شريداً ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وتوجه الأمير السردار بمن معه من العساكر المنصورة ، إلى الخانقاه السرياقوسية وجمع من هناك رؤوس العسكر ، وقد اطمأن المسلمون بذلك وسروا سروراً عظيماً ، وآمنت الرعايا ونامت البرايا ، في أكناف ظلال السلطنة الشريفة ، ودعوا بدوام دولتها المنيفة لازالت ظلال عظمتها في سائر الأقطار سايفة وريفة ، وجهر بنجر ذلك [٩٨] كله إلى حضرة مولانا الوزير المشير لذاته وهبه الله تعالى العزة والاقبال ، والهيبة والعظمة والاجلال ، فسر بذلك سروراً كبيراً ، وحمد الله سبحانه وتعالى وشكره شكراً غزيراً ، وازداد فرحاً وغبطة وسروراً وانبساطاً وجوراً ، وأنعم بالخلع الفاخرة على أصحاب البشائر بذلك ، وكذلك على الأمير الكبير علي بن الخبير ، والأمير محمد جلبيك وكل من حضر إليه مبشراً بحيث وصلت الخلع الشريفة إلى نيف وعشرين خلعة فاخرة في يوم واحد خلا بقية الأيام ، وقدمت العساكر السلطانية الخنكارية والنصر يقدمهم ، والعز والسعد يخدمهم ودخل نحر الأمراء الكرام الأمير مصطفى كتحدا المشار إليه ، بعد ذلك ، وهو في غاية العزة والعظمة وبين يديه ثلاثة رؤوس وتسعة أنفار مثقلون بالحديد يساقون بين يديه في وقت الضحى من ذلك اليوم ، ثم وصل حضرة السردار ، في وقت العصر من ذلك اليوم والرؤوس أمامه والبلوكات موضوعون في الحديد مشاة [٩٩] أقدامه ، وهم بالحالة المذكورة في غاية الذل والهوان والحقارة والمهانة وكان يوم دخوله يوماً شهوداً ، وأهالي مصر من كبير وصغير ، وغنى وفقير ، كل ذلك مسروراً ومجبوراً ، رافعين أصواتهم بالدعا وحسن الشاء ، وطلع إلى القلعة الشريفة وأمراء الألوية بين يديه ، والسنجق الشريف مظل عليه ، ومثل بين يدي مولانا الوزير ، وذكر له ما وقع من أول الحادثة وآخرها على وجه

(١) هكذا في النص .

التمام، فشكر الله تعالى الوزير على ما منحه من النصر التام، وقطع رؤوس طائفة كثيرة من الأشقياء في ذلك اليوم في ساعة واحدة، وكان ذلك بمحض من حضرة مولانا قاضى مصر جبار زاده وقت آذان العصر، وبمحض من نخر العلما عمدة الأماجد والفضلا أحمد أفندى باشا زاده، وجماعة من الأكابر والأعيان، ثم صار مولانا الوزير كلما يجاء إليه بأحد من الأشقياء يفعل به كذلك إلى أن استوفى في يومه ذلك نيفاً وأربعين نفرأ سببهم سبباً في ساعة واحدة، وذلك خلا ما كان [١٠٠] على الأرماع وهم عشرون رأساً وصار لا يغفل عن تتبعهم وكل من أتوا به إليه يفعل معه السياسة حتى خلت أراضى مصر من المعتدين، وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين، وقد عرف هذا الوزير الكريم نعمة الله سبحانه وتعالى عليه، وتواتر فضله وإحسانه لديه، معترفاً بتتابع آلاء الله تالياً قوله سبحانه وتعالى «وما النصر إلا من عند الله»^(١) متحققاً عجزه عن ذلك، وعدم قدرته لولا نصره مولاه علماً بعجزه وقصوره، مفوضاً إلى جناب الحق غاية أموره، قابلاً بلسان حاله مثنىدا بصريح مقاله :

سلم إلى الله الأمور مفوضاً فالعبد أحسن حالة التسليم

ومن خصائص هذا الوزير المشير، حسن نظره إلى الرعايا، ومعدلته للبرايا، خصوصاً فلاحى البلاد والتاطف بهم على وجه السداد، وإجرائهم على عوايدهم القديمة من عدم معارضة الملتزمين في [١٠١] أطيانهم وزراعاتهم وآثارهم، وعدم إخراج ذلك عن يده من الفلاحين والملتزمين إلا بحجة ماشية، وسياسة الأمور، وما فيه النفع للجمهور، ومن خصائص هذا الوزير حسن نظره إلى أهالى الحرمين الشريفين، وعدم معارضتهم فيما هو بأيديهم مع الزيادة منه أيضاً، والإحسان والفضل عليهم وطلب الدعاء منهم، ومواساتهم

(١) سورة الأنفال، آية ١٠٠.

لكونهم جيران الله سبحانه وتعالى ، بواد غير ذى زرع ، ونمو صرتهم وماييدهم من بيت المال المعمور ، ضاعف الله تعالى له الأجور ، ومن خصائص هذا الوزير أيضاً النظر في أمر الزوايا والأضرحة والمساجد وزيارتها في كل حين ، وعمارة ماينبغي عمارته منها العمارة الحسنة المتقنة ، وزيارة مقامات الأولياء والصالحين ، والعلماء العاملين كمقام مولانا الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه ، ومقام سيدى عقبة بن عامر الجهنى الصحابى ، واليىث بن سعد القلقشندى المصرى ، ومقام ولى الله تعالى والعارف به سيدى فارس قطاه ، وعمارة مقام ولى الله تعالى والعارف [١٠٢] به سيدى على أبو النور ، واتقان عمارته جداً إلى أن صار كاحسن ما يكون ، وكثير من المدارس والمساجد والزوايا ، وغالباً من ماله الشريف ابتغاء لوجه الله تعالى ، وطلباً لمزيد مرضاته ، وعمارة القلعة المعمورة . العمارة الجيدة واقتلع مدارس منها وعمره عمارة متقنة ، وأنشأ بها طباقاً عديدة وآثار حميدة ، ومن خصائص هذا الوزير اعتقاده في الصالحين والعلماء والأولياء بالقرافتين الشريفتين ، وطلب الدعاء منهم والإحسان إليهم خصوصاً طائفة المجاذيب فإن له ميل كلى من الدنو منهم والإحسان إليهم والتبرك بهم وجلوسه بين يديهم كأحدهم ، وقد رأى وأكثرت مؤلف هذه العجالة هو أحمد الرفاعى رؤيا عظيمة تدل على ذلك لا بأس بإيرادها وتأييدها صدق المقال إن شاء الله تعالى ، وذلك في الليلة المسفرة صباحها عن يوم الثلاثاء ثانى عشرين جمادى الثانى من شهر سنة ١٠١٨^(١) رأى أنه كتب لحضرة مولانا [١٠٣] الوزير عرض حال بخط والده المذكور في نصف الفرخ الرومى وكل ما كتبه في عرض الحال في الهامش فبقى مقدار سطرين كتبهما على طرة القصة من فوق ، ثم رفعها إلى حضرة الوزير المومى إلى ذاته الشريفة وكان جالسا^(٢) بالمشهد فأخذها الوزير منه وقرأها فأعجم عليه بعض حروفها لكونها باللغة العربية ، فقال للولد تقدم وادن منا فتقدم جداً إلى أن قرب منه وجعل يقرأها عليه حرفاً حرفاً وكذلك

(١) ٢٢ سبتمبر ١٦٠٩

(٢) في الأصل « جالس » .

قرأ ما بهامشها ، ولم يقرأ ما على طرفتها ، فقال له حضرة مولانا الوزير ، إقرأ هذا وأشار إليه فقراه ، فلما انتهى من قراءته مد يده الشريفة فأخذها وكتب عليها بخطه الشريف ، فأقيمت الصلاة ، وهو عمَّال يكتب ، فلما سمع الإقامة وضع القلم بالدواة ، وقام إلى الصلاة ، ولم يكن الولد حين ذاك متوض فذهب وتوضاً وأتى فوجد الصلاة قد انتهت ، فصلى منفرداً وجلس الوزير نصره الله تعالى وأخذ في اتمام الكتابة على القصة ، وإذا بأربعة أشخاص من المجاذيب [١٠٤] المستغرقين جلوس على مايدة وضعت لمولانا الوزير فجلس الولد بينهم ، وقال لهم من أى حرفة أنتم فقالوا نحن من فقرا بردين ، فقال لهم أنتم من فقراينا فقالوا له من أنت فقال لهم رفاعى ، فقالوا نعم أنتم ساداتنا ثم التفت كبيرهم وقال لحضرة الوزير نصره الله يا مولانا اقض حاجة هذا فإنه من ساداتنا ثم رفعت المائدة فجعل حضرة مولانا صاحب السعادة يتبسط معهم ويمجذبهم ويسألهم الدعا ، وهو جالس معهم بأدب وخضوع ، ثم وقف بعد ذلك على أقدامه الشريفة ، وإذا بجانبه الأيمن كرسى وتحتة قفطانين أحدهما بغدادى مضرب كلهكى ، والآخر أخضر فأخذ القفطان كلهكى فقال كبير المجاذيب تحياتى عليك نلبس هذا فأفرغه عليه ، ثم عهد الى الأخضر وألبسه للثانى وجلس وأخرج ختمه الشريف ووضع عليه شئ من الحبر ودفعه للولد وهو مشتبك بعقد حرير معه ، ودفع له القصة أيضاً ، وقال اختم عليها بيدك فلا تخالف ما كتبت [١٠٥] لك أخذ ، فختمها الولد ثم اتبته والقصة بيده فوجد المؤذن يؤذن لصلاة الصبح فتوضاً وصلى ، وهذا المقام يدل على تغلق قلب مولانا الوزير نصره الله تعالى بمحبته المجاذيب والاعتقاد فيهم ، وهو بموجب ذلك ملحوظ باحظهم ، ومن خصائص مولانا الوزير أيضاً ما وقع فى هذه الحادثة الشيعة فى زمنه الشريف ودفعها بسياسته ووفور عقله ، وفراسته على أحسن حال وأتمه وأنجحها وأعمه ، هذا وقد عجز عنها من تقدمه من الوزراء والبكر بكية عجزا كلياً ، مع ما حصل لهم من الأمور المشروحة ، وذلك لحسن نيته ومحبته للمجاذيب والفقرا ، وتصرفه

بعقله الوافر ورأيه الثاقب ، ونظره الصايب ، بلغه الله تعالى غاية المراد والمرام ببركة النبي عليه السلام ، ومن خصائص هذا الوزير المشير ، قطع جادة أهل العناد ، والبغى والفساد ، أولياء الشيطان بمعونة الرحيم الرحمن ، فان ذلك لم يسطر نظيره في ديوان ، وكف أكف الظلم عن الرعية ، ومافيه الأمن والانبساط للبرية ومشى [١٠٦] الغنم مع الذياب لا تجسر الذياب عليها وكأنها الولد بين يديها من الحنو والشفقة اليها ، والناس آمنون في ظلال السلطنة المنيفة في زمن إيلته ووزارته الشريفة ، ومن خصائص هذا الوزير المشير إلقاء الرعب في قلوب جميع الأعداء والمفسدين والفسقة المعتدين حتى أنه صار أكبرهم أصغرهم ، وأعزهم أذلهم وأمثالهم أحقرهم وصاروا هباء منثورا ، وأمرهم مبتورا ، ومن خصائص هذا الوزير أن مصر صارت في زمنه تحولا كالعروس بتالد من الحلل والتزين كثيرة الأرزاق نابتة الأغصان والاعراق نزهة للناظرين في غاية الأمن والتوطين ، وقد دب فيها ماء الحياة بعد موتها سنين بسعادة هذا الوزير العظيم المشير ، وعلى كل الأحوال في الحال والمآل ، فهذا الوزير المفخم ، والدستور المعظم ، عمر مصر بعد دثورها ، ودبر مصالحها وأمورها ، وأذهب شرورها ، وأدام سرورها ، ودان له كبيرها وصغيرها ، ونظرت اليه بالمهابة الاحداق ، وخضعت له طوال [١٠٧] الأعناق خلد الله تعالى على التخت اليوسفي وزارته وإيالاته وأدام سعده وسيادته وسعادته ، وعمر به البلاد وأنعش به العباد ، ونصره على الأعداء والحساد ، بجاه سيد العباد وزين العباد أمين .

ومن الأمر العجيب المطرب الغريب أن حضرة مولانا الوزير نصره الله تعالى بعد هذه الواقعة بيسير ، أمر بقطع ما علامن الأرض بالأسواق والحوانيت ومساواتها ، فلما شرعوا في ذلك مر شخص من الناس ، وقال لرفيقه ما هذا فقال إن حضرة مولانا الوزير أمر بقطع ما مشى عليه الجنح المفسدين من الأرض ، فقال الفقير في ذلك مؤرخاً :

في وقعة الأجناد قد حارت قلوب وفكر
 والحق عم لطفه على الوزير فاتصر
 وقطع الأرض التي^(١) مشوا عليها وعفر
 وأبدل الله العلى بالصفى غث الكدر
 قد جاء في تاريخهم يقطع الله الأثر

سنة ١٠١٧ [١٠٨] ١٦٠٩ م

في التاريخ حرف مشدد، والمشدد عندهم بحرفين في اصطلاح الأوقافية
وقال الشيخ على الملاح مؤرخاً .

أجناد مصر قد طغوا وبجهلهم قد باهوا
 طلبوا بيغى طابة عنها نهانا الله
 وخالفوا مايكهم وبخلفهم قد تاهوا
 فأتى الوزير محمد بالنصر من موله
 ليردهم عن غيهم فأبوا اتباع رضاه
 وتجمعه — وا لقتاله أرخت هدأ بغاه

سنة ١٠١٧ هـ / ١٦٠٩ م

ولسكاتبه :

أتى جمع من الأجنا د جمعاً ذل لقياه
 فكل منهم الشيطان باله — اريح أعناه

سنة ١٠١٧ / ١٦٠٩ م

(١) كتب البيت في الأصل :

« وقطع الأرض الذي مشوا عليها في الأثر »

ثم شطب في الأثر، ولم يضع التصويب، كما أنه استعمل الاسم الموصول « الذي » بدل التي ولذا أثبتنا البيت كما جاء في كشف الكربة، انظر كشف الكربة العاجمة المشار اليها ص ٣٧٤ .

وقلت مؤرخا :

قال لى صاحبي وقد ثارت ألفـ
والذى قلت قلت أرخ
ساق للحرب طالين الزلا
فزالوا وكفى الله المؤمنين القتالا.
سنة ١٠١٧ / ١٦٠٩ م

وقلت : [١٠٩]

جاشت جيوش الترك يوم غرورهم
أوردت أطراف الرماح صدورهم
فهنالك لم تر غير نجمه مقبل
فن الذى من جيشهم لم ينهزم
لا يعد منك المسلمون فكيدا
أمنت مصرهم وصنت حريمهم
ما أن أراك الله إلا آمرا
يتضامرون على متون الضمر
فولغن فى علق النجيع الأحمر
فى أثر عفريت رجيم مدبر
ومن الذى من جمعهم لم يقهر
أوليتهم معروفا لم تنكر
وزرات عنهم قاصمات الاظهر
فيهم بمعروف ومُنكر منكر

وقلت :

ما رأينا فيما تقدم يوما
مثل يوم الأجناد جنى عليهم
بعد جمع لهم عديد فصاروا
هكذا هكذا هلاك الأعادى
فلتقوا منهم بما كان فيهم
لا حمى الله شملهم من شتات
جزا المفسدين قتل وأسر
ولرب العباد حمد وشكر
كامل الحسن غاية فى البهاء
ذلة القهر والبلا والفنا [١١٠]
بين ذل وحسرة وعنا
عند متن الاغارة الشعواء
من فساد بجهلهم وإعتداء
بمواض تفوق حد المضاء
وجزا الشكور خير الجزاء
دايم مع تواصل النعماء

وقال كاتبه أيضاً :

ان جس عوداً رأيت الخيل راقصة
أو حركت يده اليمنى له وترأ
وساق كل عصاة مصر خاضعة
فالخيل والليل والبيدا تعرفه
وقال أيضاً :

أبى الله أن يموتوا أذلة
وغرتهم الأحلام في ساعة فـكا
طووا مكرهم تحت الضلوع خيانة
نبت بهم أوطانهم فتسكروا
لقد ركضت خيل المنايا فارجفت
وفروا وشتان المذلة والفـر
ديقرعهم خوفا إذا استيقظوا الفجر
لحاق بهم خبث الطوية والمـكر
وحق الأوطان إلى أهلها النـكر
بهم ولهم فيمن بقى منهم ذكر

وبما قلته في هذه الواقعة متمدحا لحضرة الوزير نصره الله وتعالى :

لك الحمد يا مولاي في السر والجهر
وتدبير مولانا الوزير ومن له
وزير عظيم الشأن ثاقب رأيه
يقوم بأعباء الوزارة قومة
بكل جديد الطرف اسمران رما
ومن أبيض لا يعرف الصبح إنما
فا اضطربت في نحر قلب سيوفه
فكم حاز من أجر وأولى من النداء
فيا حافظ الإسلام من طعن طاعن
على قتلة الأجناد [١١٢] والعز والنصر
أياد كموج البحر والنيل في مصر
يجهز في آن جيوشا من الفكر
يشد جيوش الملك بالأيد والذكر
إلى جحفل أحياه بالنظر الشرر
يققاتهم بالحد في لبة النحر
ولا اختلجت أوداجه في سوى صدر
ويسر من عسر وأنقذ من أمر
طاعن

يصيب ويخطى في الحديث ولا يدري [١١٣]

بأفق علاه قلعة الجبل ازدهت فهزت صباحا فوق قادمة النسر

وحفظ بلى ذات البروج به وقد
 حمى حوزة الإسلام بالباس والندا
 أيادله بالباس كاسرة العدا
 محمد مولانا الوزير عزيزنا
 حمى أرض مصر من طاعة أذلة
 وشتت شمل الأشقيا وردهم
 وقطع رؤوسا من كبار رؤوسهم
 وكان عصى موسى تلقف كلها
 منكسة أعلامهم ورؤوسهم
 وأبديت في فن الحروب معاني الـ
 خدمت سبائاه العلا بعجالة
 ومن بحرب العجاج صغت قصيدة
 وجهزتها فيه إليه هدية
 يلف حياه وجهها طيب ثراها
 نخذها عروسا من سميك وهو من
 وفي النفس حاجات وفيكم مكارم
 فقير ومن أهل العيال وماله
 ومن نيلاك الفياض يرجو مكارما
 وعش وأبق واسلم وأغن وأغنم وجدوسد

وذن وأرق وأسعد في هناء مدى العمر
 ونل فوق هام الأنجم الغر رفعة
 ويارب فاحرسه بجاه محمد
 لتروى حديث الجود منك عن الزهر
 غزا بجمد جاء تاريخ وقعها
 وأيده يارباه من حادث الدهر
 وانشاها والنظم يا ملك العصر
 سنة ١٠١٧/١٦٠٩

والحمد لله أولا وأخرا، وباطنا وظاهرا وحسبنا الله ونعم الوكيل .